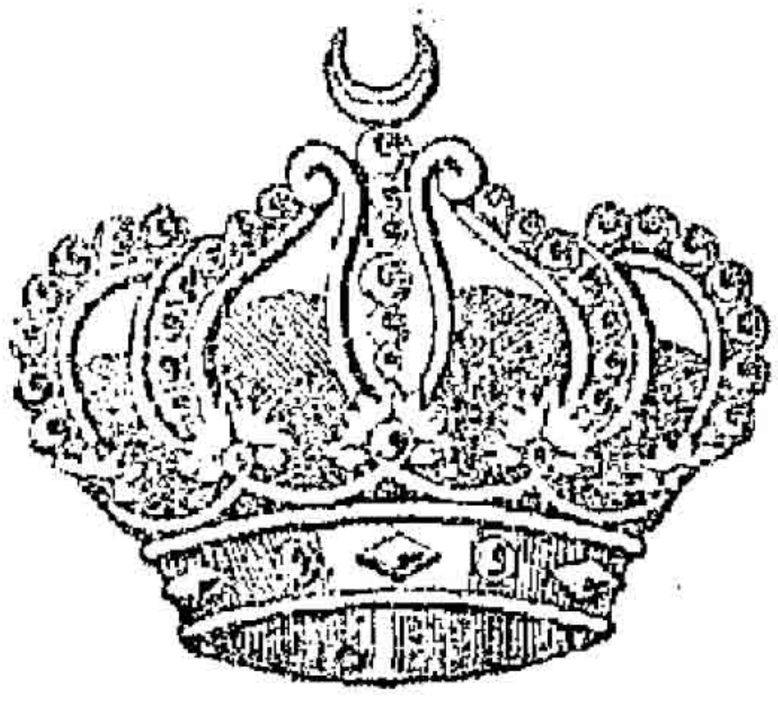

الوقاية للعرش

بقلم

حسين محمد عاشور

الموظف بوزارة الأوقاف

تفتيش دسوق

١٣٦٦ هجرية — ١٩٤٧ ميلادية

obeikandl.com

حضرة صاحب الجلالة الملك

فاروق الأول

الإهـــداء

إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم
أعز الله ملـــكه وأيد عرشه

أيا بن الأكرمين فدتك نفسى ... وأحرى أن يكون لك الفداء
لقد علم الجميع لكم جهاداً ... يقل الحـــد عنه والثناء
وكيف تنام عينك عن جهاد ... وأهلك من رفيع المجد جاءوا
نقشتم فى جبين الدهر مجـــداً ... وعزاً لا تطـــاوله السماء
ونبـــلا وارتقاء واعتـــلاء ... وحباً فى القلوب له ضياء
أرانى لم أوف القـــدر حقا ... وعجزى ظاهر ولك الولاء
فدم فى جبهـــة التاريخ نوراً ... يبين للكنانة ما تشاء

المؤلف

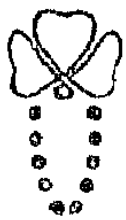

المؤلف

obeikandl.com

أحد علماء الوعظ يقرظ كتابنا

أهدى إلينا صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم على خليفة الموظف بوزارة الأوقاف القصيدة الآتية ننشرها بعد تقديمنا خالص الشكر لفضيلته :

قرأت كتابكم فوجدت فيه ... محاسن قد تلذ لقارئيه
حوى معنى رقيقاً مع عظات ... هى الكنز الثمين لمقتنيه
كتابك ياحسين سمير نفسى ... عرفت به الزمان وقاطنيه
أساس كتابكم ملك كريم ... له اليمن المفدى يفتديه
مضى بالعدل يحكم لايحابى ... ولم ينصر على خصم ذويه
رأيت وزير سوء جاء يسعى ... إلى عرش المليك ويعتليه
أيا هذا الوزير صليت ناراً ... لقد خنت المليك وناصريه
ومن يخرج عن السلطان شبرا ... له ويل بجزاء يجتنيه
أيا ملك لك البشرى فصبرا ... إليك العرش رد بغاصبيه
بعيشك ياسليمى خبرينى ... فقولك حجة لاشك فيه
وقولى كيف رد العرش إنى ... شغوف بالمقال وقائليه
وكم لك يارجاء من الأيادى ... على للشعب الكريم ومالكيه
دعوت الله مبتهلا اليه ... وحاشا أن يخيب سائليه
بأن يرعى مليك النيل دوما ... ويحرسه لشعب يرتجيه
فعرشك ياأمليك بكل قلب ... وأرواح ومال نفتديه

المقدمة

لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لتأليف هذه القصة ألهمني بفضله وكرمه أن أنظر إلى الحياة الدنيا هذه نظرة المتمعن فى قدرة رب العالمين وفى إرادته النافذة التى تذيب صم الصخور وتفتت غلف القلوب . وفى حكمته العلية التى لامعقب لها وفى قضائه وقدره اللذين لابد من تنفيذهما .

فوجدت أن رجالا كانت ذا فخامة وصولجان وعظمة وقوة وعظيم مقام ولهم من الإدارة والسيطرة مالايمكن لعقل أن يصفه . وناهيك بعد ذلك عن متاعهم فى قصورهم حيث فيها مافيها من أحسن الأثاث وأفخر الرياش . فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها متمتعون . ثم بعد ذلك تتبخر هذه العظمة وتنهار و يضيع ذلك الجاه وتلك الفخامة وتذهب المظاهر العالية أدراج الرياح ويصيرون بعد ذلك كأقل فرد من أفراد شعبهم لاقيمة لهم فى الحياة وذا جزاء سوء أعمالهم وذميم فعالهم . ثم أجد بعد ذلك رجالا كانوا من صغيرى أو متوسطى المقام كافحوا فى حياتهم بوفاء واخلاص ابتغاء خدمة أوطانهم وملوكهم وإذا بأيدى السعادة تحلهم فى مناصب كريمة فيذاع صيتهم وإذا بهم فى ساحة ملوكهم جالسين ومقربين وبعطفهم مشمولين .

فكرت بعد ذلك قليلا ثم أنعمت الفكر وتوسلت إلى ربى القادر على كل شىء أن يعينى على تأليف هذه القصة للذكرى وبالله التوفيق وإليه المتجه فى كل حال .

المؤلف

اصفهان العادل

ملك بلاد اليمن

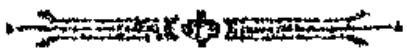

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى وهو أصدق القائلين :

« وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

وقال أيضاً :

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير »

obeikandl.com

مجلس شورى الملك

يتكون من :

(١) وردان بن صهيب كبير الجلساء (٢) خليل بن اسحق أحد الجلساء

(٣) اسماعيل بن ابراهيم أحد الجلساء (٤) عمر بن اليزيد « «

(٥) موسى بن فوزان « « (٦) يحيى بن مدكور « «

ثم يتعدل أخيراً بعد حادث الخيانة إلى :

(١) يحيى بن مدكور كبير الجلساء (٢) اسماعيل بن ابراهيم أحد الجلساء

(٣) موسى بن فوزان أحد الجلساء (٤) عمر بن رجاء « «

(٥) اليزيد بن رجاء « « (٦) خالد بن رجاء « «

الوزراء

(١) ميلود بن حمزة بن سعدون (٢) رجاء بن سويلم

(٣) وردان بن صهيب

خيانة الأول ووفاء وأمانة الآخرين

(١) حمزة بن سعدون قائد عام الجيوش الأول والملقب بحامى السواحل

(٢) يوسف بن شعيب « « الثانى

« القواد الأربعة لميلود »

(١) قس بن يعرب (٢) سالم بن الياس

(٣) خالد بن خلف (٤) عمر بن سويلم

السيدة سالمة بنت سعد زوجة القائد العام يوسف بن شعيب ثم زوجة للملك اصفهان العادل

عواد بن صويلح — خادم السيدة سالمة بنت سعد

حمـــراء العيـن

تربع على عرش بلاد اليمن ملك يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً يسمى أصفهان توفى أبوه أمير الديار سليم بن الملك صالح بن كنعون وينتهى نسبه إلى أصل شراحيل إبن ذى جدن بن السرح بن الحارث بن قيس بن صنع بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس ويسمى السرح ويلقب بالهدهاذ وكان ملكا عظيما على أرض اليمن كلها .

أما الملك أصفهان موضوع القصة فقد توفى أبوه أمير الديار سليم وكان أصفهان هذا يبلغ من العمر خمسة عشر سنة ثم أكمل تربيته جده الملك صالح بن كنعون وتوفى جده وهو يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً وظلت البلاد فى فتن واضطرابات وقلاقل إلى أن طاف أعضاء العائلة المالكة بعاصمة البلاد وبلدان الدولة منادين بوجوب تولية أصفهان الملك وتم ذلك وكان أول مشجع للفكرة ومعضد لها وأول المنادين بها وردان بن صعيب كبير جلساء الملك أصفهان ووزيره أخيراً !

وكان شعب الملك أصفهان يلقبه بالملك العادل وذلك لصلاحه وتقواه وشهرته بين قومه بالعدل المطلق فضلا عما كان ممتازاً به من حميد الخصال وكريم الفعال وجليل الأعمال ، إذا طرق بابه مظلوم أنصفه وإذا طلب المعونة منه فرد أعانه وقضى له حاجته فضلا على إجهاد نفسه وسهره المتواصل فى سبيل خدمة شعبه ورفاهيته وبلوغه ذروة المجد والسؤدد .

وهكذا ظل الملك العادل يحكم شعبه الوفى الذى يبادله حبا بحب ، ووفاء بوفاء ، وإخلاصاً بإخلاص ، والذى يرجو له صباح مساء من رب الأرض والسماء أن يبلغه ما يرجوه منه سبحانه وتعالى من جهاد وطاعة واسعاد وعلو فى الدرجات فى الدنيا والآخرة .

حامى السـواحل

هو القائد حمزة بن سعدون قائد عام جيوش الدولة الجالس على عرشها الملك أصفهان وكان ملقباً بحـامى السواحل لأن إقامته وجيش الدولة الجرار كان قرب سواحل البحار محيطاً بالدولة من كل مكان لرد الجيوش المعادية من حيث أتت .

وقد خصص الملك لذلك القائد قصراً عظيما له خدم وحرس عديدون وأصدر أوامره بأن يكون له امتيازات عدة ومتاع كثير . وذا جزاء إخلاصه وتفانيه فى خدمة ملكه ووطنه .

ظل هذا القائد الباسل مقيما بتلك البقعة حارساً وجيشه دولة الملك العادل من اعتداء المعتدين وهجمات الطاغين وفى كل مرة تنشب الحرب بين دولة الملك أصفهان وتستمر أياماً طوالا يكون النصر فى نهايتها لجيش الملك أصفهان بسبب خطط القائد حمزة الفنية ومواهبه التى أنعم الله عليه بها فى رسم الطرق لصد هجمات الأعداء .

أراد الملك أن يكافئه جزاء أمانته ووفائه فأنعم عليه بأعظم نياشين الدولة التى كانت لا تمنح فى ذلك الوقت إلا للاخصائيين الذين يكونون دواماً فى حضرة الملك .

وهكذا بقى ذلك القائد الكبير مكرماً منعما حتى انقضت أيامه ومات عزيزاً كريما مأسوفاً عليه من ملكه ووطنه .

« الرفيق ميـلود »

فكر الملك العادل بعد ذلك فى شىء يواسى به عائلة ذلك القـائد العظيم تخفيفاً للكارثة التى انتابتها فلم يجد شيئاً سوى تعيين ابنه ميلود فى مركز يليق وخدمات المرحوم والده .

فاستقر رأى الملك على تعيين ابنه رفيقاً له .

وكان ذلك الابن يبلغ فى تلك الآونة من العمر ثلاثين عاما أنشأه أبوه نشأة حسنة ورباه تربية فاضلة .

وبينما الابن جالس فى حديقة داره يفكر فى موت أبيه ويذرف الدمع من أجله وإذا برسول من قبل الملك اصفهان العادل يطرق الباب ويبلغه أمر ملكى كريم وهو تعيين هذا الميلود الباكى الحزين رفيقا للملك وذلك جزاء لما تركه أبوه من عظيم الخدمات وجليل الأعمال التى عادت على الوطن بأعظم الفوائد .

أما رفيق الملك وهو يوسف بن شعيب فقد أمر الملك بتعيينه قائداً عاما للجيوش لما اشتهر به من تعلم الفروسية والشجاعة والاقدام .

فرح الرفيق ميلود بهذه المنحة الملكية الكريمة وفرحت عائلته بأجمعها وأخذوا بعد أن كانوا جميعا يبيتون وقد ملأ الحزن قلوبهم وسيطر اليأس على نفوسهم لضياع شامخ مجدهم الذى كانوا يتمتعون به يدعون الله مخلصين أن يبارك فى حياة الملك العادل ويجزيه ماهو أهله من عظيم الجزاء وموفور الثناء : —

تسلم ميلود منصبه ورافق الملك اصفهان العادل فى كل مكان يريده وفى كل جلسة يرغبها وفى كل محفل يدعوه الشعب لتشريفه بل وفى كل رحلة يحبها أو بلدة من بلدان الدولة يزورها والرفيق فى غدواته وروحاته مع الملك يمثل المخلص الوفى الأمين لسيده حتى لمس الملك منه هذا فزاد حبه له وتعلقه به ووهبه ثقته الكلية حتى كان لا يفترق منه إلا وقت النوم فقط .

وبلغ من هذه المحبة وذلك التعلق أن الملك كان لا يهنأ له بال ولا ينتظم له حال إلا إذا كان رفيقه جالسا بجواره .

مضى سنتان على هذا الحال والرفيق متمتع بثقة الملك ورضائه حتى ذاع صيته وانتشر خبره بين طبقات الشعب فكانت الدعوات تخرج من ألسنة الشعب مبالغة فى حب مليكهم بأن يحفظ ذاته ويبارك له فى رفيقه . ولحكمة لا يعلمها سوى الله وحده ألهم رفيق الملك أن يعرض على مولاه ورب نعمته إنشاء منصب فى الدولة كبير لا يصل اليه إلا أقرب المقربين للملك من الذين يثق فى ذمتهم وأمانتهم وشرفهم ونزاهتهم وحبهم وتفانيهم فى خدمة وطنهم ومليكهم .

ترى ماهو ذاك المنصب الخطير المطلوب إنشاؤه فى الدولة ؟ هو منصب وزير الملك وذلك أسوة ببقية ملوك الدول المعاصرين لهذا الملك .

فكر الرفيق ميلود فى هذا وأنعم الفكر ورأى أن باب الوفاء يلزمه ويحتم عليه عرض الأمر على مليكه تخفيفا من العبء الثقيل الملقى على عاتقه .

ما أن طلب الملك الرفيق للجلوس بجواره وصار يتجاذب معه أطراف الحديث الودى حتى عرض الرفيق الرأى على مسامعه فأعجب الملك بالرأى أيما إعجاب واعتقد أن نتيجة متاعبه الجمة والصعاب التى اجتازها فى سبيل إسعاد الشعب قد بدأت تخف عنه وبدأ يشعر بكثير من الراحة .

شاور الملك مجلسه فى الأمر فنال استحسانهم ثم طلب منهم بعد ذلك أن يفكروا فى الأصلح لتولى ذاك المنصب الكبير وأعطاهم مهلة يومين يجتمعون خلالها ويتشاورون ويعرضون النتيجة بعد ذلك على جلالته .

انتهت المدة المحددة فحضروا جميعاً للملك عارضين ما استقر عليه رأيهم ووافق جمعهم وهو تولية وردان بن صعيب هذا المنصب خصوصا وأنه ضحى بكل مرتخص وغال فى سبيل توطيد ملكه وجلوسه على عرشه فى بداية اعتلاء الملك أريكة الملك بعد وفاة جده وانتشار الفتن والقلاقل فى أنحاء البلاد لاختيار ملك يخدم الشعب وينعم به .

إلا أن الملك لا يعلم بمخبئات القدر ولم يدر ما سيحدثه له المستقبل فعرض على مجلس شورته ما يرغبه ضميره ويحبه قلبه وهو ميلود بن القائد حمزة ذى التاريخ المعروف للدولة ولجميع دول العالم . فرفض الجميع رأى الملك بأدب واجلال وأبانوا لمليكهم أنهم يرون فى وجه ميلود هذا الكثير من اللؤم والمكر والخداع والكبر وربما يغره هذا المنصب الكبير فيحدث تعباً كبيراً ، وراحة مولاهم الملك أهم ما يكون لديهم ولدى الشعب بأجمعه رغم ما يتظاهر به ميلود للملك من المسكنة والتواضع والمحبة والاخلاص فصمم الملك على رأيه وكأنه يتمثل بقول الشاعر

إزرع جميلا ولو فى غير موضعه ... فلا يضيع جميل أينما وضعا
إن الجميل وإن طال الزمان به ... فليس يحصده إلا الذى زرعا

سبحان الرب القدير ملك الملوك القوى المتين محرك القلوب بيده تصريف جميع الأمور وإذا أراد أمراً فانما يقول له كن فيكون .

صمم الملك أصفهان على هذا الرأى وأعلن على الملأ إنشاء هذا المنصب وإسناده إلى مستشاره الأول ورفيقه الوحيد فما كان من الجميع إلا الخضوع والقبول لرأى الملك والاستسلام لرغبته .

« ميلود الوزير »

الأفراح والزينات

أمر الملك أصفهان العادل أن تقام الزينات وتنصب المآدب والحفلات احتفالا بانشاء منصب هام فى الدولة ، منصب وزير أى حاكم عام على الدولة بأمر الملك يصرف جميع الشئون ويرجع الملك فى المسائل الهامة . وتنفيذاً لهذه الرغبة السامية أقيمت الزينات وجهزت المآدب والحفلات واستمر الشعب فى فرحه وسروره ومتاعه وحبوره ردحاً من الزمن .

تقلد الوزير ميلود منصبه وأخذ يصرف أمور الدولة بذكاء نادر وهمة عالية بحل ما أمكنه أن يحله من الأمور ويرجع فيما أعجزه إلى مولاه وولى نعمته فى حله والاستنارة برأيه . ومكث الوزير على هذا الاخلاص والوفاء ثلاثة أعوام كاملة ، إذا دعى الملك فى فرح من أفراح عظماء الدولة ينيب عنه ميلود وإذا توفى كبير من الكبراء أناب عنه وإذا قامت مشاكل أو منازعات أو ثورات بين أفراد الشعب يكلف ميلود من قبل مليكه بفضها حتى علمت الأمة جميعاً بمقدار مكانته لدى الملك وأصبح الجميع ينزلونه منزلة المخلص الوفى للوطن الخادم الأمين للملك .

ملك ميلود بذكائه وظهوره للشعب بوفائه قلوبهم حتى أيقن الشعب أن التصرف الفعلى فى أمور الدولة هو الوزير أما الملك فقد أصبح لا عمل له إلا الأمور الهامة .

« دولة السرداب وإعلانها الحرب على الملك اصفهان »

بينما ميلود جالس فى ديوانه المعد له وإذا بحاجبه يدخل عليه برسالة من رسول ملك دولة السرداب يبلغه فيه الآتى بعد الديباجة :

نظراً لضرورة نشر ديننا بين طبقات العالم . ونظراً لما تقتضيه الحالة الملحة من جعل دولتكم المجاورة لنا دولة تقدس إلهنا العظيم وهو الإله برهوت (الصنم) الذى يقدسه آباؤنا وأجدادنا الأولون ، والذى كان سبباً فى نصرتنا على جميع الدول التى حاربناها وأصبحت تابعة لنا - لذلك نخطركم بهذا لسرعة إفادتنا لإمكان النظر فى خوضنا غمار الحرب من عدمه وفى حالة قبولكم اتباع ديننا وإعطائنا العهد الوثيق بأنكم ودولتكم أصبحتم من المقدسين لإلهنا نتركم والسلام ! .

بهت الوزير ميلود بعد قراءته ذلك الكتاب وانتقل على الفور إلى مكان الملك وأطلعه الخبر فما كان من الملك إلا أنه ضحك ضحكة السخرية واستدعى الرسول وأملى الوزير الكتاب الآتى نصه بعد الديباجة :

لما كان ديننا يدعو إلى التوحيد ومعرفة الإله المجيد خالق السموات والأرضين . ولما كان الخالق تبارك وتعالى قد ضمن النصر للمؤمنين به وبرسالة رسوله الذى جاءنا بدين الهدى والبينات فاتبعناه .

ومن حيث إن هذه العقيدة قد تغلغلت فى نفوسنا ونفوس شعبنا وأصبحنا فداء لهذه الثقة بالله الملك الأحد . ملك الملوك الجبار العظيم . فنبلغكم بهذا رداً على كتابكم للعلم .

والسلام على من اتبع الهدى .

تسلم الرسول الرد وعاد بإنذار الحرب فى وقت تحدد ، دعا الملك وزيره يشاوره فى الأمر ، فما كان من الوزير إلا أنه أبان استعداده التام لخوض غمار الحرب وأنه أول من يتقدم الصفوف ويضحى بكل حياته فى سبيل هزم الكافرين وحفظ الوطن والملك من اعتداء المعتدين .

ثم استأذن من الملك للتوجه إلى قيادة الجيش العامة لإصدار الأوامر بالاستعداد للهجوم فيؤذن له .

صدرت الأوامر باستعداد الجيش للذود عن الوطن المؤمن بالله من أذى المشركين ودقت نواقيس الحرب إيذاناً ببدء المعركة .

ترى أين الوزير الهمام ؟ أين الفتى المقدام ؟ الذى عاهد الملك على أن يتقدم الصفوف ويقود بخبرته وخبرته المئات والألوف ، توارى عن الأنظار ، ودخل فى خيمته المعدة له ينظر من وراء بابها فى خوف ورجفة ، حتى إذا ما رأى أن الجيش فى تقدم والأعداء فى انهزام وانكسار خرج مسرعاً يطوف نواحى الجيش مشجعاً ، ولأن الله يعلم سوء نواياه المقبلة أصيب بحربة فى كتفه الأيسر فوقع لساعته على الأرض جريحاً فأمر القائد العام بحمله سريعاً واستدعاء أطباء الملك لمعالجته . وما أن وصل الخبر إلى مسامع الملك حتى انتقل على الفور إلى المكان ونظر الى الوزير والدماء تسيل من جرحه فأخذ يبكى عليه مر البكاء والأطباء له يداوون وبجرحه الفظيع يضمدون .

انتهى الحكماء من مهمتهم وطمأنوا الملك أن ميلود سيشفى بإذن الله من هذا الجرح .

فأراد الملك أن يعرف كيف أصيب بعد أن وفى بعهده للملك وتعهد بأن يقدم حياته فداء . كيما يزيد فى قدره وفى إعلاء شأنه .

نودى القائد العام يوسف بن شعيب وسأله الملك عن الخبر فقال له القائد يامولاى أعزك الله وأدام ملكك السعيد .

الخبر فيه مزدجر والشىء بالشىء يذكر ، فالوزير أمر الجيش بالهجوم وإذا بنا نراه بعد أن وجد المعركة حامية الوطيس يجرى مسرعاً نحو خيمته هذه . يمكث قليلا وينظر من وراء الستار . وهكذا حتى إذا رأى أن الجيش فى تقدم وجدناه بين الصفوف مشجعاً . لذلك صممت أن أعرض الأمر على مولاى لأبين لجلالتكم أن هذا الوزير لو كان مخلصاً لوطنه وملكه حقاً لكان أول من يتقدم الصفوف وأول من يكون الفداء .

إغتم الملك لهذا الخبر وسأل الكثير من رجال الجيش وإذا بالإجابة واحدة .

تركه الملك والحكماء وانصرفوا بعد أن زوّد قائد الجيش بالنصائح الغالية وأفهمه أنه سيجزل له العطاء بعد نصر الله جيوش المؤمنين .

واستدعى مجلس شوراه وطرح عليهم النبأ كاملا وطلب منهم التفاهم وإياه فأجمع الكل على وجوب إخلائه من منصبه خصوصاً وقد بدأت نبوءتهم فى التحقق عندما أبانوا للملك أن سوء النية يرونه متوفراً فى ذاك الرجل .

فكانت إجابة الملك السليم النية نحو وزيره سيء النية أن الانسان لا يؤاخذ المخطىء بخطئه من أول مرة وإنما يتابع تجربته فإذا ما تحقق صدق مايدعون كان من المحرومين المنبوذين نبذ النوى والمبغوضين بغض القذى وكأنه تمثل لهم بقول القائل :

من ذا الذى ما ساء قط .. ومن له الحسنى فقط

خضع الجمع لرأى الملك وشفى الوزير وعلم بما حدث فأخذه الرعب وأحاطه به الرجفة وفكر قليلا فهداه فكره السيء إلى حيلة ينجو منهـــا فدخل على الملك بعد استئذانه بمسكنته وتواضعه المعروفين وله يقول :

مولاى الملك . أعزك الله وأدام ملكك السعيد .

بلغ مسامعكم أننى قصرت فى الدفاع عن الوطن وإذا أذنتنى مولاى أن أوضح له رأى فى هذا يكون الله رب الخلائق أجمعين قد أراد أن يرد لى اعتبارى عند مليكى وإخوانى الجالسين . ثم استطرد قائلا :

تعهدت لمولاى أن أتقدم الجيش وقت بدء المعركة كى أحوز الشرف عندما أكون أول المستشهدين .

وهل يامولاى هناك شرف أرفع من هذا الشرف أو فخر أعظم من هذا الفخر . شرف الفداء فى سبيل الله وفخر الفداء فى سبيل الوطن والملك .

غاية الأمر يا مولاى أنه يظهر بالنسبة لعدم سابقة تعودى قيادة جيش فى حرب من الحروب أو دخولى ميداناً من ميادين القتال قبل ذلك ، رغم ماتعلمونه جلالتكم من دراستى علوم الفروسية وفنون الحرب ، ثم وقف برهة وأردف قائلا :

وأحب ولى الفخر أن أذكر مولاى بشهادته التى طوقنى بها منذ ثمانية شهور وعلى مسمع من هـــذا المجلس الموقر نفسه حينما تفضلتم جلالتكم وأفدتمونى لفض المشاكل التى بلغت حدها الأقصى بين عائلتى فهد ومردوخ حيث تكرمتم على بقولكم لى بهذا النص :

بلغنى ياميلود أنك وفقت تماماً لفض النزاع القائم بين هاتين العائلتين اللتين لا يمر يوم عليهما إلا ونسمع بقتل الكثير من رجالهما فاستعملت الهجوم يامیلود بفرسك بينهم وسط المعركة العائلة بشجاعة وهمة نادرتين وأمرت الحرس ألا يحركوا ساكناً فى ضرب أو إيذاء لتلك الجماعات الثائرة حتى فضت المعركة وتفرق الجمع ولم يحدث ما يعكر الصفو . ثم خطبتهم خطاباً فياضاً تحثهم فيه على ترك ظلم لبعضهم وأفهمتهم أن العدالة ساهرة . ثم أفهمتهم أن ملك البلاد يسوءه كثيراً مايصل لمسامعه من نفورهم المستحكم والعداوة والبغضاء بينهم الأمر الذى لو استمروا عليه سيكونون موضع سخط من ربهم ومليكهم . كما وأنك بشرتهم ببشارة سارة جداً وهى زيارتى لهم لتهنئتهم بقبولهم أمر الصلح . فأشكر لك هذه الهمة ومن حيث قد تم صفاء نفوسهم جميعا حددنا باكر للزيارة .

هذه يامولاى الشهادة التى سأسجلها عندى فى صحيفة من نور إلا أننى أعود فأكرر لمولاى أنه نظراً لأن هذه أول مرة أدخل فيها ميدان حرب شعرت فيها بضيق فى صدرى عظيم وذهول فى جسمى أعظم ثم وجدت ارتباكا قد عمنى لم يسبق حدوثه لى من قبل وهذا كله قليل بجوار الدوخة التى ألمت بجسمى والتصدع الذى أحاط برأسى . فخيفة من ظهورى أمام الجيش وقائده العام بهذا المظهر المخزى لم أر بدأ من دخول خيمتى بعد تزويد قائد الجيش بالنصائح والارشادات .

ولم يرتح لى ضمير يامولاى رغم هذا كله ، بل ضغطت على نفسى وما ألم بها من مرض وارتباك وصرت أتردد على باب الخيمة وأنا فى أشد التعب لأطمئن على حالة الجيش وما أن شعرت بزوال الذهول والارتباك حتى هرولت مسرعاً وأنا بهذه الحالة المتعبة إلى مكان الحرب أبث روح الشجاعة والحماس فى نفوس القواد والجنود حتى جاءنى أمر الله المقدر ووقعت مغشياً على كما رأيتمونى . وأمام مولاى أشهد الله رب زمزم والحطيم على أن ماذكرته الساعة هو عين الحقيقة ولمولاى أيد الله عرشه وأدام ملكه القول الفصل بعد ذلك نحو تلك الوشاية التى وصلت إلى مسامعكم العالية وليحفظ الله الملك .

أمر الملك وزيره بعد ذلك بالجلوس كعادته وقال له لقد سبق أن نوقش هذا الموضوع

حكمت بالعفو عنك سواء أكنت ظالما أو مظلوماً أما وقد أبنت لى الآن تفصيلات الموضوع كاملة ومشفوعة بقسم رب زمزم والحطيم مجـــازى المسىء بإساءته ومكافىء المحسن بإحسانه والعليم بخفايا القلوب فثق بأن الأثر الذى علق بنفسى لما سمعته عنك قد أزيل تماماً . وإكراماً لك قد منحتك اليوم تصريحاً بعدم دخولك ميادين القتال إذا حدثت حرب أخرى لاقدر الله .

فرد مجلس الشورى وقال ليحفظ الله الملك . العفو من شيم الكرام .

استمرت الحرب بعد ذلك أياماً قليلة وانتهت بهزيمة الكافرين ونصرة المؤمنين الموحدين وقد أجزل الملك العطايا كسابق وعده لقائد الجيش لما أظهره من بسالة وشجاعة وإخلاص .

استمر الوزير فى منصبه وقد سبق أن أبنا أن ذلك الوزير كان ذكيا مفرطا ونبيها للغاية ذا فكر نادر ولباقة غريبة تشبه مهارة إبليس وذكائه، ففكر فى نفسه أنه ربما يكون هذا الحادث الذى علق بنفس الملك وأزيل ربما ينقل بين طبقات الشعب عن طريق الجلساء أو غيرهم فيسبب ضعف مركزه لأنه كان يعلم أن هؤلاء الجلساء وكثير من رجال قصر الملك يحنقون عليه كل الحنق ويفهمون ماتنطوى عليه نفسه من مكر وغرور فأراد أن يسارع بإعلام الشعب عن طريق المنادين أن الملك يعلن أن خادمه الأمين ورجله المخلص الوفى المطيع وهو الوزير ميلود قد أبلى فى هذه الحرب بلاء حسنا حتى أنه كان بين الصفوف وهو فى شدة المرض وظل كذلك حتى أصيب بجرحة من أحد جنود العدو أوقعته مغشيا عليه جريحا ، وقد عولج وتم شفاؤه وتسلم عمله اليوم . والملك يبلغ شعبه بهذا لإجلال وزيره الكريم الذى ضحى بنفسه فداء للشعب والملك فكر فى هذا ثم فكر فى طريقة يعرض بها الرأى على الملك حتى يحوز القبول فرأى أنه لو فاجأ الملك بهذا ربما لا يكون هذا الرأى موضع استحسانه فوجد بذكائه أن خير طريق يسلكه هو الحضور أمام الملك مفكراً وسابحا فى الفكر حتى إذا ما سأله مولاه فيم يفكر وعلام الفكر يعرض عليه الرأى وبذلك تتحقق أمنيته وتزيده فى نفوس الشعب تقديراً وإجلالا ومهابة واحتراما . صمم فى نفسه على هذا وبات فى تلك الليلة مشغولا . هل سيحقق الرجاء ؟ وهل سيكون حائزاً للقبول ؟ أو يكون مصيره الرفض ؟ وفى حالة

إجابة الملتمس وإعلان هذا الخبر المفرح على الملأ هل يكون ذلك ركنا للبناء الذى يبغى إتمامه فى المستقبل القريب والذى تصبو إليه نفسه .

استمر تفكيره شارداً وتحقيق أمله بين اليأس والرجاء حتى غلب عليه النعاس ولاح الفجر وجاء الصبح واستيقظ الوزير من نومه وأشرقت الشمس بأشعتها الذهبية الساطعة على دولة الملك العادل فزادتها جمالا على جمالها ورونقا على رونقها وبهاء على بهائها وحان وقت الديوان فوصل إليه الوزير مبكراً وأعقبه الملك أصفهان الذى يقضى غالب ليله فى عبادة ربه وتوحيده وطلب نصره على أعداء ملكه .

دخل الملك فى حجرته الخاصة وجلس على كرسى عرشه ثم طلب وزيره كعادته ليسأله عما إذا كان جد من الصعاب جديد مطلوب عرضه عليه فى ذلك اليوم . وهنا أراد الوزير أن يمثل دوره وأن يحقق ما انتواه بالأمس ، فنظر الملك إلى وزيره وهو يشاوره فى أمور ويسأله فى مسائل فرآه شارد الفكر مشتت الرأى .

فقال له الملك

أرى وجهك يا ميلود على غير عادته . أراك مفكراً فى أمر جسيم فهل تستطيع أن تطلعنى على فكرك بصراحة فانفذ لك رغبتك وأعمل على مقتضاها ما دامت فى حدود المعقول .

ظهرت على وجه الوزير علامات الأمل وبانت فى ملامحه أمارات الفرح والسرور وسرعان ما جلس بين قدمى الملك وكأنما يقول

لذ بالكرام بنى الكرام فانما ... تلد الكرام بنى الكرام كراما

رد عليه مولاه وقال له

مرحباً بك وأرجو أن تكون دائماً ياوزيرى عند حسن ظنى بك كى لا يشمت فينا الأعداء ونقضى أيامنا الباقية على أحسن ما يكون من الرضاء والصفاء فاطلب ما تشاء وسترى منى صدراً وسيعاً وقبولا للرجاء .

قال الوزير :

مولاى. أدام الله نعمته عليك وزادك عزاً ومتاعا ومتعك برجال كرام لكم فيهم يامولاى يدوم المجد ذخراً ثم قال .

أحب أن أتشرف الساعة بعرض موضوع ألهمنى الله به هذه الليلة ورأيت عرضه على جلالتكم حتى إذا ما تنازلتم بقبوله نزل على الأعداء نزول الصاعقة وزاد الشعب ولاء على ولائه وأنزل وزير صاحب الجلالة الذى اختاره حاكما عاماً على البلاد منزلة تليق بخادم وفى أمين الملك لأن هؤلاء الأعداء يا مولاى لا يريدون إلا انتشار الفتن والقلاقل وأرجو الله أن يحفظنا من مكرهم وخداعهم .

الملك : تكلم يا ميلود .

ميلود : أرجو من مقام جلالتكم أن تتفضلوا بصدور الأوامر العلية بإيفاد المنادين فى جميع نواحى العاصمة ومختلف البلاد بأن جلالتكم تعلنون عامة الشعب أن وزيركم نزل ميادين القتال يدافع عن وطنه وملكه وهو فى شدة المرض الذى فاجأه حتى أصيب وهو تائه فى مرضه بحربة أوقعته على الأرض مدرجاً فى دمائه ، واليوم وقد تم علاجه وأبل من مرضه فيأمل من شعبه الوفى أن يزيد فى تقدير هذا الوزير وأن ينزله منزلة الكرام المخلصين وذلك لأنه لم يترك فرصة من الفرص إلا ويظهر عظيم الولاء لوطنه وملكه .

وذلك يا مولاى لما أشعر به من طريق بعيد أنه من الجائز أن يشاع من بعض أعضاء مجلس شوراكم أو أحد خدم القصر خبر حادث الحرب الذى علق بنفسكم وأزيل بفضل الله ونبل أخلاقكم وكرم محتدكم وحمود سجاياكم .

وبهذا يا مولاى أطال الله عمرك وأيد عرشك تكبت الأعداء ويرد الله كيدهم فى نحورهم وتخيب آمالهم التى ينشدونها وهى ضعف مركزى فى نفوس الشعب ووضع هذا الحادث فى قلوب الرعية موضع الألم والانتقاد والله يعلم ويشهد أننى بعيد عن مثل ما يدعون كبعد المشرقين .

فأجابه الملك الطيب القلب الخالص الضمير بأنه لا يمانع فى إجابة ملتمسه وسرعان ما صدرت الأوامر السنية بتحقيق رجاء الوزير وتطاير الخبر بين الشعب جميعه بالأسلوب

الذى يرغبه الوزير .

ترى ماذا حدث بعد إعلان الشعب بالنبأ ؟ وماذا كان موضعه من قلوبهم ! سرى الخبر فى النفوس حتى وصل إلى القلوب فأهاجها فرحاً وطرباً وبشراً وإجلالاً وتقديراً. لأن هذه النفوس البريئة الطاهرة التى نشـــأت على الحب الخالص والولاء العظيم لذات الملك العادل الصالح الذى أسعدها ونعمها وهنأها وكرمها وحماها من اعتداء دول الكفر والطغيان عليها لا يسعها إلا أن تكون رهن إشارة الملك ولا يسعها إلا أن تعز وتقدر من يعزه الملك ويقدره حتى بلغ من هياج قلوب الشعب أنهم خرجوا عن شعورهم خروجاً أدى بهم إلى إجتماع حشدهم الزاخر الذى لا يحصيه عدد وتوجهوا إلى قصر كعبة آمالهم وهو ملكهم العادل بالهتافات المدوية التى إن دلت على شىء فانما تدل على غاية الاخلاص وعظيم المحبة التى تكنها نفوسهم الطاهرة نحو سند دولتهم ووزيره الوفى وظلوا يهتفون هذه الهتافات « يعيش الملك العادل ويحيا وزيره الأمين » « نحن فداء الملك ووزيره » « عاش أصفهان المؤمن بالله » عاش أصفهان المعز لدين الله » ليحيا خادم الملك الأمين وهكذا حتى وصلت الآلاف العديدة إلى قصر الملك وهم يرددون تلك الهتافات حتى تهيج أحدهم فنادى قائلا نريد رؤية الملك والوزير والجميع يردون وراءه مؤيدين . وإذا بالملك يسمع تلك النداءات وهـــذه الصيحات فيسأل وزيره وجلساءه الخبر فيرد عليه الوزير مبتسما والجميع بعد ذهاب بعضهم لاستطلاع الأمر بأن كتلا بشرية عديدة متراصة أمام القصر هاتفة بحياة جلالته ووزيره ويرجون ملحين فى الرجاء رؤية الملك ووزيره بتلهف شديد وفارغ صبر وذلك لتجديد الولاء لذاته ورجله الأول بعد أن أوصل المنادون وفاء الوزير لمليكه وقت الحرب الفائتة . فقال الملك هيا بنا يا ميلود وأنتم جميعاً يا رجالنا نرد تحيات الشعب المخلص المحب لنا ولوزيرنا شاكرين .

قام الجمع وساروا يتقدمهم جلالة الملك ووزيره واجتازوا الردهة الموصلة التى تطل على الجموع الحاشدة .

ما أن لمح الشعب الملك ووزيره وحاشيته حتى زاد هياجهم الذى أفقدهم شعورهم

وتعالت الهتافات بتكبير الله وحمده والدعاء له سبحانه وتعالى أن يحفظ لهم الملك والوزير ، والملك يرد عليهم شاكراً ومظهراً لهم أنه على مثل إخلاصهم وولائهم ثم كلف الوزير تفضلا منه وعطفاً ومبالغة فى اكرامهم بالقاء كلمة نيابة عنه تبياناً لما يكنه قلبه من عظيم التقدير والثناء وذلك بعد أن لمح الوزير وحاشيته الدموع تسيل من عينيه الكريمتين بغزارة . فتعجبوا لذلك كثيراً .

إلى هنا ربما يعجب القارىء الكريم من عدم تناسق التعبير إذ كيف يكون الملك فى موقف كهذا والدمع يسيل من عينيه . فالاجابة على ذلك تتفق وملحه الملك فى نفوس اتباعه المتشرفين بالوقوف معه وهذه اللمحة الملكية تدل على ما كان عليه ذلكم الملك من ذكاء ونباهة يفوقان الحصر رغم ما أكرمه الله به من طهارة القلب وسلامة النية وحسن الضمير حيث قال لهم قبل أن يبدأ الوزير خطابه لا تعجبوا من بكائى فى هذه المناسبة فشدة الفرح إذا بلغت بالقلب مبلغاً يحوله عن طبيعته يكون أثره البكاء فرحاً وطرباً بالحب والوفاء .

هجم السرور علىّ حتى أننى من فرط ما قد سرنى أبكانى

رافقت الظروف التى يرى الوزير ميلاد أنها سعيدة شخصه وصحبته المصادفات الطيبة وشمله حسن الحظ دواماً من يوم توليه الحكم كما يعتقد وذلك لضرورة تنفيذ قضاء الله وقدره اللذين لابد من نفاذهما وتحقيق حكمة الله عظة وعبرة لأولى الألباب

من البدهى بعد أن كلف الوزير بإلقاء كلمة للشعب نيابة عن الملك قال فى نفسه : من كان يفكر فى هذا وما هذه المناسبات الحسنة التى دائماً أراني موفقاً لها . والله إننى أشعر بشأن أعظم من هذا القدر سيكون لى فى وقت قريب . حيلة ونالت الاستحسان منه (قاصداً الملك) ثم يندبنى الساعة لالقاء كلمة شكر بلسانه . إن هذا لجميل والقيادة العليا سأتسلمها بعد قليل .

ومن البديهى أيضاً أن نرى من خطبة الوزير الآتية ما يفهم منها رغبته فى جمع القلوب لديه وتطمين الملك بأنه الخادم الوفى الأمين حقاً .

خطـــاب الوزير

شاور الوزير بيديه للمجموع إشارة الصمت والسكوت ثم ارتجل لهم الكلمة الآتية وهذا نصها :

أيها الشعب الوفى الكريم .

ليس أحب على نفسى اليوم بعد أن تفضل مولاى صاحب الجلالة فضمرنى بسائغ فضله وكريم عطفه وطوقنى بجميل نبله وعظيم خلقه فأمرنى أن أرتجل لكم كلمة شكر نيابة عن جلالته لعظيم ولائكم ومحمود إخلاصكم . هتافات مدوية .

« نحن فداء الملك ووزيره » « أنفسنا وأولادنا وأموالنا فداء العرش » .

لست أدرى والله هل أبدأ بشكركم وقد سبقتمونا إلى فضل حضوركم لملاذ دولتكم وسندكم أم أبدأ بالترحاب بكم وقد لقينا منكم حباً وحدباً « تصفيق حاد وهتاف يبلغ عنان السماء » .

لقد احتضنكم مولاكم الملك كما يحتضن الندى الأقحوان وأسكب عليكم من حنانه أبهره ومن العيش أنضره ومن الحب أروعه ومن الايمان أجمعه . علمكم من النقاء منتهاه ومن الخلق أعلاه ورسم لكم من السمو أسماه وقال لكم هذا مأربكم فسيروا على بركة الله تصفيق وهتافات تمسك مدة كبيرة من الزمن »

أنشأكم مولاكم الملك رجالا لا ككل الرجال ونساء وشباناً لا ككل الشبان والنساء إخلاص فى وفاء ووفاء فى طاعة وطاعة فى إيمان . سبحانك ربى لستم ياشعب اصفهان العادل من صنف البشر وإنما أنتم آية هذا الزمان .

إخوانى وأبنائى الأعزاء :

أعلن ملك الكافرين الحرب على بلادكم المؤمنة بملك الملوك فخضنا غمارها بعد أن أزهقت كثيراً من أرواح أبنائنا وهدمت كثيراً من دوركم ودور إخواننا فلم تزلزل الصدمة من كيانكم ولم تزعزع إيمانكم بالله وهو لاشك إيمان شديد بالرب المجيد ، بل كان لكم من ثباتكم على دينكم وولائكم لمليككم ما أصمدكم وثبتكم على مبادئكم حتى انتهت الحرب والنصر حليفكم والحمد لله . وهتافات ودعوات حارة » .

إخوانى وأبنائى الأعزاء :

بهذه المناسبة وقد علمتم بما حدث لى فى بدء أول معركة من معارك الحرب ، وأشهد الله جبار السموات والأرض أننى كنت فى شـــدة المرض ، ورغم ما ألم بى من تعب وألم عظيمين بكل جسمى كنت بين الصفوف مدافعاً وأنا فى غير وعى لا أعى ماذا أفعل وكيف أحارب حتى أصبت بتلك الاصابة وأظنكم قد علمتم بتفاصيل ما جرى .

وإن القوم ضلوا عن قويم وقالوا إن هـــذا لافتراء
فسحقاً ثم سحقـــاً ثم سحقاً وويل فى الجحيم لهم جزاء

وهنا تحمس الوزير وثارت ثائرته وقال :

نعم ويل لهم من الله حيث وشوا الى مولاى بأننى لم أوف الاخلاص والولاء حقهما نحو صاحب العرش والعرش من أمثالهم براء « نداءات حماك الله ــ يالك من خادم أمين . ثم استطرد الوزير قائلا :

فأنا الوزير الوفى المطيع ، الخادم الأمين للعرش حقا والخادم المخلص لأصغر صغير بينكم .

فلا تسمعوا لافتراءات المفترين وادعاءات الكاذبين فحسبى الله فيهم ونعم الوكيل . أشهدكم أننى وهبت نفسى وروحى وبيتى وكل ما أمتلك فداء لمولاى وسأظل كذلك إلى آخر لحظة من حياتى . « هتافات ونحن كذلك أنفسنا وأرواحنا فداء للملك ».

أكرر شكر مولانا لكم فعودوا إلى أعمالكم مصحوبين بسلامة الله وعنايته ولطفه ورعايته وليحفظ الله الملك .

انصرفت الجماعات كل إلى عمله وهم يرددون الدعوات الحارة إلى الله مقصدهم الأعلى أن يبارك لهم فى حياة مليكهم ووزيره وعاد الملك يحف به وزيره وحاشيته إلى الحجرة الملكية وبعد أن جلس وأمرهم بالجلوس قال لهم فى لطف ما رأيكم فى هـــذا الشعب الكريم ؟ وما رأيكم فى خطبة وزيرنا المحب الذى لا يترك فرصة من الفرص إلا ويظهر لنا كامل الولاء ؟

فرد أحد الجالسين وقال : أما الشعب البرىء فلا شك فى حبه لمليكه ووزيره ، ورد آخر وقال أما الوزير فأرجو الله بقلب مخلص أن يكون للوطن وجلالتكم كما أبان

فى كلمته . فأمن الجميع لهذا الدعاء وظلوا جميعاً يتجاذبون أطراف الحديث إلى أن جاء وقت انصرافهم . فانصرفوا الى قصورهم .

تفتحت بهذا أمام الوزير بارقة الأمل وذهب الى قصره وقلبه يرقص طربا لتحقيق أمنية من أمانيه ولوصوله الى مأرب من مآربه وقال فى نفسه . لو يستمر معى حسن المصادفات لثلاثة حالات كهذه أصل الى بغيتى قريبا حيث تكون القلوب قد مالت إلى تماما وصار يتحدث مع نفسه . هل من المنظور أن أكون ملكا على هذه البلدان ؟ وهل هذا فى الامكان ؟ وما الطريقة المجدية لنجاح هذه الفكرة ؟ ليس أجدى وأنفع من اختلاطى بالشعب المتواصل وظهورى أمامهم بالتواضع والانكسار . وذلك بطريقة مفاجآتهم فى دورهم ومجتمعاتهم وأعمالهم ثم أخصص ثلاثة أيام فى الأسبوع لمقابلة أرباب الشكايات والمظالم وأقضى لكل حاجته ومطلبه . واستمر على ذلك شهوراً حتى أطمئن الى أن الشعب أصبح لا يفكر فى غيرى ولا يطلب سواى . ثم يعود ذلك الوزير ويتراود ونفسه وإذا علم الملك بأنى بدأت الاحتكاك بالشعب والاختلاط به وتحديد ثلاثة أيام للمقابلات للنظر فى الظلامات والشكايات هلا يأخذ من هذا فكرة خيانة أو عدم وفاء ؟ وإذا لم يأخذ عنى هذا فهلا بلغت إليه من قبل جلسائه وأخصائه ؟ إذاً ما الفكرة الصائبة التى تمكننى من القيام بتنفيذ هذا ؟ .

عاد الوزير إلى بيته وهو يشاور نفسه فى تحقيق هذا الأمر الخطير .

وعاد الملك الى قصره أيضا وقلبه معلق بخطبة الوزير الذى يعتقد فيه أنه رجل وفى قدير .

جزاك الله أيها الملك بقلبك الطاهر السليم أحسن الجزاء وأبلغك مارجوته منه من جهاد وطاعة فى يوم الجزاء ، وأعدّ لك مقعد صدق مع المرسلين والأنبياء والصديقين والشهداء .

يالك من ملك عادل أخلصت لشعبك ولوزيرك الخائن واستسلمت لقضاء الله الملك المجيد الذى كتبه عليك على يد ذلك الوزير ليطهرك تطهيراً وذا جزاء المتقين الصابرين

هل إذا أبنا بعد ذلك بالنسبة لهذه القصة التى تنطبق على كثير من الحقائق أن فطرة الله التى فطر الناس عليها ودينه القويم وملته السمحاء وشريعته الناصعة الغراء

وحكمته العالية التي لا يدرك كنهها أحد سواه والتي لا يبلغ مداها إلا هو والتي أتمنى لهذه البلاد موضوع القصة بذات كريمة ونفس طيبة طاهرة أخرجتها من بحار الظلمات وطهرتها من دنس الشهوات وألقت بها فى مشارق النور الالهى وحظائر القدس الربانى وهى ذات الملك أكون قد بالغت ، كلا . إن هذا الوصف هو الحقيقة التي تنطوى عليها نفسية الملك العالية .

وهل إذا أوضحنا أن نفسية كنفسية الوزير التى سولت له الخيانة وارتكاب جريمة من أشنع الجرائم بأن صاحبها أراد له الله خسران الدنيا وسوء الختام وحشره فى الآخرة مع المجرمين اللئام وهو يوم الفضيحة والهول والزحام نكون نتدظلنا هذه النفسية ، كلا . إن هذا الوصف هو أقل ما يجب . فعليك يا مبلود لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وخصوصا شعب الملك العادل البرىء الذى غررت به تلك النفسية الدنيئة وأذاقته بعد ذلك صنوف الألم والعذاب والذى لم يكرمها الشعب إلا لإكرام الملك لها . ولم يحل الشعب صاحب هذه النفسية ويحبها ويخشى بأسها ويحترمها إلا لإجلال ومحبة واحترام الملك لها .

فحسابك على الله أيها الوزير لينتقم الله منك بعدله « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

فمثل هذه النفسية يجب محوها من الوجود بعد أن يسجل لها التاريخ أسوأ الذكريات

نعود فنتحدث عن الليلة المشار إليها وكيف فاتت .

مرت على الملك وقد قضاها فى عبادة ربه شاكراً له سبحانه وتعالى جليل إحسانه عليه بهذه المنة الكريمة التى منها عليه . منة حب الشعب وولاء الوزير وداعيا المولى سبحانه وتعالى أن يديم عليه هذه النعمة وأن يوفقه لأن ينهض بأمته نهضة مباركة يزيدها علواً على علوها ومكانة فوق مكانتها .

ونتحدث أيضا عن فوات الليلة على الماكر الأثيم الوزير .

فاتت عليه بعد أن صوب أفكاره فى كل ناحية توصله الى احتلال مقعد من أوصله لهذه المكانة العالية ولم يسمع لنصح الناصحين اعتقاداً منه وجزما بأنه طيب ومسكين

وابن قائد باسل عظيم سجل له التاريخ أحسن الذكرى على مر السنين . ولكن فات الملك أن نوحا اعقب ابنا كافراً وكثير من أمثال ولد نوح المذنبين ، ولكن حسن الطوية وطهارة النفسية ترتقى بصاحبها ارتقاء بريئا . كرت ساعات الليلة على الوزير وهو يدبر بينه وبين نفسه المكائد ويجهز المؤامرات .

وبان الخيط الأبيض من الأسود وأعقب بيانه شروق الشمس على المملكة الاصفهانية وعلى قصر الملك بالرضوان والأنوار ، ثم بانت الشمس على قصر الوزير الحائر الفكر بالسخرية الممزوجة بغضب الله الذى خلقها وأبانها . ومرت فترة حتى حان موعد توجه الملك العظيم الى ديوان ملكه وكان قد سبقه إليها الوزير الذميم وبقية رجال مجلسه الموقر واستقبل الملك كعادته بالاجلال والتعظيم وجلس على أريكة الملك وأمر الجميع بالجلوس ماعدا الوزير الذى استأذن فى التوجه الى حجرته الخاصة فأذن له واستمر الحال على هذا المنوال وشغل الوزير الشاغل تنفيذ خطته .

نترك أمر الوزير قليلا الآن ونعود إلى الملك السرداب ملك دولة عابدى الصنم وهو الملك الصمصام فبعد أن عاد اليه قائد عموم جيشه بنفر قليل من الجيش يعد على الاصابع وعلم بالهزيمة النكراء التى حاقت جيشه رأى أن الأمر لايتطلب السكوت فربما تباغت دولته بجيش الملك اصفهان فأوفد وزيره المسمى الصامت إلى ملوك الدول الكافرين الذين تربطهم بالملك الصمصام صداقة كبيرة ليدعوهم لعقد اجتماع سريع للتشاور فى أمر الهزيمة التى ألمت بجيش دولته وعقد المعاهدات اللازمة بينهم سريعا .

وصل الوزير الصامت إلى ملوك دول الكافرين وعددهم خمسة ملوك وهم :

(١) الزعفران ملك بلاد العيدان وعبادتهم النار
(٢) صبروت « « البلور « العجل
(٣) ميمون الوحش « « الهجير « النجم زحل
(٤) البولاد « « العيون « القمر
(٥) شورمان « « الجبل « الصنم

ودعاهم بسرعة زيارة الملك الصمصام بصفة مستعجلة بعد أن اطلع كل منهم على نتيجة حرب دولته مع الملك اصفهان عابد الاله سبحانه وتعالى الذى يخشى منه على دولتهم والدول

المجاورة . فاتفقوا جميعا على يوم يجتمعون فيه للتشاور فى هذا الأمر الخطير ويكون ذلك الاجتماع بأرض ملك بلاد العيون وهو الملك البولاد .

عاد الوزير الكافر المسمى بالصامت إلى ملكه وأفاده بنتيجة سفره وأفهمه بتاريخ اليوم الذى تقرر الاجتماع فيه للتشاور .

جاء اليوم واجتمع الملوك الكافرون وقرروا قراراتهم وعقدوا اتفاقاتهم على وجوب تجهيز جيش جرار من كل دولة بأسرع وقت وعلى أن تجتمع الجيوش فى أول دولة قريبة لدولة الملك اصفهان وهى مملكة الملك الصمصام ثم تتجه الجيوش بعد ذلك لناحية دولة الملك العدو حتى تصل اليها .

استقر الرأى وجمعت الجيوش واتجهت إلى مملكة العدو حتى وصلت قريبا لابوابها

ثم نعود الآن إلى وزير الملك اصفهان العادل ملك دولة عبادة الله رب العالمين ، فبينما هو جالس فى حجرة عمله وإذا برسول يطرق بابه ويبيده كتاب من قائد عام جيوش الدول المعادية موقع من ملوكها الخمسة يعلنونه الحرب فيه إن لم يعدل عن الدين الذى اتخذه ويتخذ له إلها من الآلهة المعروفة لديهم والمعتاد عبادتها .

فض الوزير ميلود الكتاب وعلم ما احتواه وتوجه لساعته إلى قاعة العرش حيث مولاه الملك وعرض الكتاب عليه فأمر الملك بتحرير رد يسلم إلى رسولهم ويتلخص فى ثبات الملك ورعيته على دينه ويطلب اليهم ضرورة اتباع هذا الدين وهو دين التوحيد بالله رب العالمين خالق آلهتهم والكون أجمعين . ثم نظر الملك اصفهان بعد ذلك إلى وزيره وجلسائه وقال ما رأيكم ؟ قالوا جميعا ! نحن فداء دين الله والوطن والملك

قال الملك اصفهان . الحمد لله والنصر من الله قريب . ثم سكت هنيهة وقال اذهب يا ميلود ومر قائد الجيش بتجهيز جيشه بعد إعطائه الارشادات اللازمة ثم عد إلى سريعاً لركوب عرباتنا والطواف بأنحاء المدينة لتشجيع شعبنا ومطالباتهم بالصبر والثبات فى هذه الحرب حتى يأتينا النصر من رب الكائنات إنه سبحانه بنا بصير ولدعائنا جدير ونصير .

ذهب ميلود ينفذ الأمر وقد ارتبك ارتباكا فى طريقه غريبا حيث صار يراود

نفسه لقد رافقنى حسن الحظ نعم بتحقيق جانب من حاجيات البناء الذى أرغبه وهو الطواف مع الملك بأنحاء المدينة لتشجيع الشعب والأمر لايخلو من القاء كلمة حماسية لهم نيابة عن الملك ولكن ماالرأى بعد هذا كله إذا اكتسحت جيوش الدول جيوشنا واحتلت بلادنا وضاع مركزى بل وضاع ما كنت أرجوه وأتمناه وهو اعتلاء العرش فى يوم من الأيام ، وليت الامر يقف عند هذا الحد إننى أخشى أن يقبض على وأكون أسيراً ضمن الأسراء فتكون هى الطامة الكبرى .

استمر يفكر فى هذا كله حتى وصل إلى قيادة الجيش العامة . وقابل قائده العام وكلفه بتجهيز الجيش استعدادا لمحاربة جيوش الدول الخمسة المجاورة بعد وصول انذار الحرب منها .

وعاد بركبه إلى ديوان الملك وقد بدا على وجهه الوجوم والحيرة وقال لمولاه اصفهان لقد أبلغت يامولاى ماأمرتمونى به فرد عليه الملك وقال لم لم تطف بنفسك حول الجيش لاعطاء التعليمات وتزويده بالنصائح فارتبك وأراد أن يدارى ارتباكه فقال لأنى رأيت أن مولاى بنفسه بعد طوافه أنحاء المدينة إذا تفضل وارتقى ركبه إلى مكان الجيش بصفته القائد الأعلى يكون حسنا .

فرد أغلبية الجالسين وقالوا وهذا هو الأوفق يا مولانا .

فالتفت المليك إلى وزيره وقال دائماً رأيك صائب ياميلود وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير .

هرول المنادون إلى المدينة لابلاغ الأهالى بطواف الملك ورجاله لمناسبة وصول جيوش دول الكافرين الخمس للحرب ومشاهدة رعيته فى اللحظات الأخيرة الباقية قبل بدء معركة الحرب .

الملك والطواف بالشعب

ما أن شوهد الملك يطوف بالمدينة ليحث شعبه على الثبات على المبدأ والصبر والجلد لمناسبة الحرب المقبلة حتى التفوا حول ركب جلالته ووزيره وركب أتباعه هاتفين بحياته وحياة وزيره ورجاله وأنهم جميعاً فداء لدين الله والوطن والملك .

ولا غرو فالمدينة أي عاصمة الملك المفدى وبقية بلاد الدولة مشهورة بالولاء والاخلاص للملك العادل فهى لا تترك مناسبة إلا وتظهر فيها عظيم ولائها وقد رأى الملك العادل فى هذه اللحظة الهامة أن يلقى عليهم كلمة تشجيع واطمئنان تحفزهم للدفاع عن وطنهم والذود عن دينهم وثباتهم على عقيدتهم ومبادئهم وما أن مضت لحظات حتى كانت المدينة بأجمعها ملتفة حول الركب الملكى الكريم رجالا ونساء وأطفالا الكل داعون ومكبرون وهاتفون فأشار الملك بيده اليمنى اشارة الأمر بالتزام السكون والهدوء لسماع النطق الكريم الذى سيطوق جيدهم به فيهدىء من روعهم ويزيل ما اعترى نفوسهم من الخوف ويبدل روعهم أمناً وطمأنينة ويزيدهم ثباتاً على ثباتهم وقوة على قوتهم .

فقال لهم :

شعبى العزيز :

حضرت اليكم الساعة لا لأشجعكم بكلمة تهدىء من روعكم بعد إذ علمتم بما سينال دولتكم من جيوش الكافرين ولا لأذكركم بأن نصر الله دائماً مع المؤمنين الموحدين ولا لأفهمكم أن الثبات على العقيدة أمر واجب محتم فإنى على يقين تام بأنكم أهل الشجاعة والاقدام والتضحية والايمان الكامل بالله . كما وأنى أعتقد اعتقاداً لا يعتريه شك ولا يحوطه ريب أنكم أهل الثبات على المبدأ والغيرة على دين الله الواحد الأحد وقد أصبحت الدول المجاورة المحاربة لنا اليوم وغيرها من دول الكافرين البعيدة تعتقد أن الجبال لو تزعزعت عن أمكنتها لا تتزعزع أمة الملك أصفهان عن عقيدتها ودينها وايمانها بالله القادر على كل شىء هو سبحانه الذى وعد ووعده الحق بأن الظفر والنصر رفيق الموحدين ، بكاء وهتافات ودعوات حماسية تمكث مدة طويلة من الزمن ،

استمر الملك العادل يحث شعبه الأبى بعدم التزعزع عن دين الله وضرورة التمسك بشريعة رسوله العظيم ﷺ والدفاع بكل ما يمتلكون من أنفس وأموال فى سبيل نصرة دينه سبحانه وتعالى حتى سمع نداءات قوية من نواح مختلفة أن الموت فى سبيل الله وفى سبيل إعلاء كلمة الوطن أصبح هو الأمنية الوحيدة .

ثم اختتم كلمته بعد ذلك بالجملة الآتية :

أكرر قولي لكم أن اثبتوا على مبادئكم وحاشا على الأمة الاصفهانية اليمنية أن تكون مستعبدة في يوم من الأيام فالله خلقنا أحراراً ولم يخلقنا عبيداً لهم فالعبودية لا تكون إلا لله الواحد القهار.

«ظهور وردان بن صهيب»

ما أن انتهى الملك من القاء كلمته حتى استأذن وردان بن صهيب في القاء كلمة ووردان هذا كبير جلساء الملك وهو الذي أجمع المجلس قبل تولية ميلود الوزارة اسنادها إليه لولا رغبة الملك في ميلود للأسباب السابق ذكرها فأذن له مولاه الملك فقال :

اخواني وأبنائي الأوفياء :

أرايتمو نور الهداية في الجبين المشرق ؟
وسمعتمو حكم الآله من المليك الحاذق ؟
حكم تلين لها النفو س وكل قلب مغلق
بثقت كنور الفجر في سدف الظلام المطبق
فهي الهداية والسرا ج مدى الزمان الخافق
وقف المليك مع البيا ن وحسن لفظ المنطق
يدعو إلى حرب المجو س بحكمة وتحقق
بشجاعة وحماسة و لسان حال ناطق
لا يبتغي أجراً سوى نور الآله الخالق
يسعى به يوم الجزا ء مع المليك السابق
إن المليك لفي الجنا ن وفي النعيم المغدق
بين القصور شواهقاً بين الرياض المونق
وافى على نزل النبي وذا جزاء المتقي

انتهت كلمة وردان بن صهيب كبير جلساء الملك وأخلص المخلصين إلى مليكه وهى أبيات يفهم منها الولاء والمحبة للملك أصفهان العادل ولجده الملك الصالح بن كيمرن الذى كان يعطف عليه كثيراً ولا ينفذ أمراً فى الدولة بغير مشورته . ثم يفهم منها ايضاً ما انطوت عليه نفس ذلك الرجل من اخلاص لدين الله وثبات على شريعة رسوله ﷺ وأنها أى الشريعة هى الهداية ونور الله الدائمين وقد نزلت هذه القصيدة على قلوب الشعب البرىء بالقبول والاستحسان .

ولما هم الملك بالتوجه إلى قيادة الجيش طلب كثير من أفراد الشعب كلمة من وزيره الأمين ورجاله الأول والوزير والرجل الأول فى تلك اللحظة مشغول بما سيئول اليه منصبه الكبير ولم يفكر فى شىء غير هذا ولكن للظروف المحرجة تراه يتظاهر بالبكاء والتأثر الذى بلغ به أشده بسبب اهتمامه على الوطن والملك

فالتفت إليه الملك التفاتة الرضا ووضع يده على كتفه وضعة الحنان والمحبة وقال له أخفهم بكلمة يا ميلود قصيرة تترك فى نفوسهم أثراً يزيد من حماسهم وولائهم وثباتهم.

أحرج الوزير الذى يظهر فى غير الشدائد ويختفى فى الشدائد محتجاً بمرض أو بكاء أو تأثير فلم ير بدأ من التكلم فدارى موقفه بكلمة يحتم فيها عليهم وجوب الثبات على الدين والعقيدة والاخلاص والولاء للملك والوطن والحق كما سيظهر آتيا أن الدين والعقيدة والاخلاص والولاء منه براء .

غادر الملك المدينة قاصداً ووزيره ورجاله قيادة الجيش مودعا بمثل ما استقبل به من حفاوة وإجلال وهتاف ودعاء حتى وصل إلى مقر القيادة فاستقبل من القائد العام يوسف بن شعيب وبقية القواد وجميع الجيش بالهتاف البالغ عنان السماء بحياته وحياة وزيره وصحبه المخلصين حتى بلغ من تحمس القائد العام وقد كان رفيقه الأول أن فقد شعوره فقال منادياً :

الله أكبر قد أضاء وأسفرا ... وجه كوجه البدر يسطع نيرا
هذا جمال فى الوجود رأيته ... أرأيت شيئاً منه أجمل منظرا
هذا المليك وحوله أصحابه ... كالبدر تكنفه النجوم زواهرا
فالله أكبر قد أضاء وأسفرا ... وجه كوجه البدر يسطع نيرا

بهذا الشعور الفياض استقبل القائد الأعلى من القائد العام ، وبقية القواد وجميع رجال الجيش ينادون هاتفين وداعين ومكبرين ثم نزل الملك بعد ذلك إلى مكان الجيش وارتجل له كلمة حماسية أبان فيها جزاء الجهاد فى سبيل الله والوطن والذود عن دينه الحق والثبات على المبدأ ثم أظهر لهم أن الذين يقتلون فى سبيل الله يموتون شهداء أى يدخلون الجنة بغير حساب فضلا عما يخلده الشعب لهم من ذكرى تسجل على مر السنين وهذا كله بخلاف الشرف الذى يمنح لهم من الله فى الدار الآخرة . وظل الملك أصفهان العادل حتى دوت النداءات من وحدات الجيش جميعا بأن الموت فى سبيل الله غاية الأمل .

ثم ختم الملك كلمته بأنه ووزيره ورجاله أول المضحين بأنفسهم وأموالهم فى سبيل دين الله .

وغادر الملك قيادة الجيش مودعا بعظيم الاجلال وخالص الولاء وما أن وصل إلى ديوان مملكته هو ووزيره ورجاله حتى وجد رسول الجيوش عائداً بانذار الحرب وقد تسلم الملك منه الأنذار وكلف وزيره بالعودة ثانية إلى مقر القيادة لابلاغ القائد العام بميعاد بدء المعركة .

رجع الوزير إلى مقر القيادة لابلاغ القائد العام بميعاد بدء المعركة وإعداد الجيش وتجهيزه للدفاع . وقد فكر وهو فى مقر القيادة بعد أن قابل يوسف بن شعيب القائد العام وطلب منه التوجه إلى مكان الجيش لتكليفه بالاستعداد فكر فى نفسه أن يسير غور القائد العام فى مقابلة قائد عام جيوش الدول المعادية والاتفاق معه على تسليم الجيش ودخول المدينة على شرط عزل الملك العادل عن ملكه والمناداة به ملكا وبالقائد العام وزيراً ولما عاد يوسف بن شعيب بعد أن كلف قواد الجيش تجهيز جيوشهم وبعد أن رسم لهم الخطط المطلوب اتباعها وتقسيم الجيش إلى فرق و ... الخ أبلغ الوزير أن الجيش أصبح على أتم استعداد ولا ينقصه سوى الاستنارة ببعض ارشاداته فمكث الوزير يتحدث معه متبسطا للغاية فى حديثه عن جزاء المجاهدين فى سبيل الله والغيورين على وطنهم وأراد أن يستدرجه فقال له ياأخى يوسف قد علمت أن عدد جيوش العدو تبلغ أربعة كرات وعدد جيشنا كرة ونصف فقط فكرة فى اصطلاحهم

هى عبارة عن مليون جندى ، فهل من المنظور أن نهتصر ونهزم هذا الجيش الجرار فأجابه القائد على الفور

سيدى الوزير النصر بيد الله وكم من فئة قليلة مؤمنة موحدة بالله غلبت فئة كثيرة باذن الله وما تاريخ الحروب القريبة العهد ببعيد وما علينا إلا أن نجاهد لآخر جندى وما قدره الله لابد أن نراه والأهم من هذا وذاك أن يحفظ الله الملك .

وجد الوزير بعد ذلك أن أمر الخيانة لم يأت ميعاده وخصوصاً قد رأى من يوسف بن شعيب وفاء للملك لايمكن أن يتحول عنه فلم ير بدا من الانصراف شاكرا للقائد العام ماأظهره من تضحية وفداء وعاد إلى ديوان الملك مبلغا القائد الأعلى أن الجيش على أحسن مايكون من الأهبة :ـ

دق جيش العدو نواقيس الحرب إيذاناً بهجوم جيشه وقابله جيش الملك اصفهان العادل بالنفخ فى مزماره علامة على استعداده وبدأت المعركة وحميت واستمرت على ذلك أياما طوالا وبين الآونة والأخرى يركب الملك ووزيره ورجاله عرباتهم أوفرسانهم ويذهبون إلى الجيش منادين ومشجعين .

تبين بعد ذلك لمجلس الملك أن الجيش فى تأخر وتقهقر وأنهم يرون صدور الأوامر بتكوين جيش احتياطى على عجل من الأهالى الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين فعرضوا الأمر على الملك فوافق عليه إلا أن وردان بن صعيب كبير الجلساء استأذن من الملك فى عرض رأى لو تفضل بقبوله يعود بالفائدة العظمى فائدة النصر بمشيئة الله فقال له تكلم ياوردان . قال وردان يامولاى أعزك الله ونصرك إننى لاأرى مانعا من صدور الاوامر بتجنيد جيش احتياطى من الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين إلا أننى مع هذا أرى والرأى الأعلى لجلالتكم أنه من الضرورى الاستنجاد بملوك الدول المؤمنين بالله أمثالنا مثل الملك سليم ملك الهند والملك صهيل ملك العرب فرد عليه الملك وقال ومن يقوم بأداء تلك المهمة فأجابه وردان بأنه على استعداد للقيام بهذه المهمة بنفسه وقال :

مولاى أعزك الله ونصرك على الأعداء إن هذه المهمة لن تستغرق منى مدة أكثر من أربعة شهور وهذه الحرب الطاحنة أمامها على الأقل سنة ونصف حتى تنتهى وانى

يامولاى لاأظن ان ملكين كهذين مؤمنين وموحدين بالله خالق الكون أجمعين يسلمان أن ملكا مؤمنا صالحا بجلالتكم هاجمته جيوش الكافرين وترغب احتلال بلاده وتغيير دينه وهو عبادة الاله المعبود ويتوانيان لحظة واحدة فى امداد جلالتكم بجيوش جرارة للمساعدة إلى هنا رد بقية المجلس ومن بينهم الوزير بأن هذا الرأى هو الأصلح وان وردان هذا خير من يسند اليه مثل هذه المهمة الخطيرة وصار الوزير يحبذ هذه الفكرة ويحسنها ولا بغية له فى ذلك سوى تنفيذ اغراضه . وسرعان ماتفتح فى وجهه باب الأمل وظهرت على وجهه علامات الفرح والسرور ، والرضا والاطمئنان حيث تحقق امامه النصر القريب حيث يعلم ان الوصول إلى بغيته لايأتى إلا بانتهاء الحرب وعود السلام والأمان والاطمئنان إلى البلاد . قبل الملك اصفهان هذا العرض وشكر وردان شكرا جزيلا على مايظهره دواما من اخلاص لوطنه وولاء وعجبة لملكه وكلفه بتجهيز نفسه والاستعداد للرحيل بعد ان امر وزيره بتحرير كتابين لملكى الهند والعرب يطلب منهما النجدة كما وأمر باختيار وفد من المشهود لهم بالصلاح والأمانة يكون تحت رياسة وردان وعلى أن يتم ذلك فى خلال ثلاثة أيام :

كان ذلك فى وقت المساء فتم الاتفاق على تنفيذ هذا الأمر وصدرت الأوامر إلى الوزير بتكليف أمين بيت المال بصرف مايلزم للوفد من أموال ومؤونة تكفيهم مدة سفرهم . انصرف الملك والمجلس كل الى قصره وهم يبتهلون جميعا الى الله العلى القدير أن يحمى الدوله من جيوش الظلم والطغيان وأن يشتت شمل الكافرين وان يهلكهم أجمعين .

ثم ذهب الملك الى خلوته بعد أن استراح قليلا مع أهله وقضى ليلته فى عبادة ربه والتوسل إليه أن يحقق أمله فى النصر على دول الظلم والطغيان .

ويستحسن فى هذه المناسبة أن نصف قطرة من بحر من قدرة رب الخلائق أجمعين فهو سبحانه وتعالى إله العرش الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء السميع العليم المدبر الحكيم المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقصان ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

هو الله الملك السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى .

هو المطلع على خفايا القلوب وما تكنه الصدور منصف المظلوم وجير المستجير ومغيث المستغيث وهو على كل شيء قدير هو الحي القيوم السميع بديبب الغلة وسط الليل المظلم البهيم.

هو السيد المعبود المحمود صاحب المكارم والعلا والجود.

هو الفعال لما يريد القوى المتين ذو البطش الشديد.

هو صاحب العرش المجيد والطول والأنعام.

هو الملك الحق المبين الصادق الوعد الأمين سبحانه جلت قدرته وتعالت صفاته منصف المظلوم وممهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته يأخذه اخذ عزيز مقتدر.

سبحانه وتعالى يستجيب لدعوة المظلوم ولو خرجت من فم كافر.

سبحان الله الملك الحق الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

سبحانه أرشدنا إلى معرفته بأسمائه الحسنى وصفاته العليا سبحانه سبحانه لو أردنا أن نصف مثقال ذرة من عظمته لبريت الأقلام وجفت المحابر وملئت الصحائف وتاهت الأفكار، وهل يصل الوصف بعد هذا كله الى شيء يسير من مثقال الذرة. كلا! كلا! فله سبحانه المثل الأعلى لا يحيط به عقل ولا يدركه كنه.

الله الحكم العدل يستجيب الدعاء من الكافر المظلوم فما بالك لو كان الدعاء من فم ملك عادل طاهر آمن به واعترف بوحدانيته وجاهد في سبيل إعلاء كلمته لاشك سبحانه وتعالى ناصره وآخذ بيده، وحاشا على الله أن يخلف وعده فقد ضمن النصر للمؤمنين.

ونعود إلى الملك أصفهان العادل العابد الذي استمر الى قبيل الفجر بقليل ساجداً لربه مناجيا وباكيا. وإذا! وإذا! وإذا!

« الهاتف من قبل الله »

وإذا بنور يفيض فيضيء الخلوة الطاهرة ، هو الهاتف من قبل الله يتكلم بصوت جميل ويقول :

يا أصفهان :

لقد حكمت محكمة العدل الالهية الليلة حكما مشمولا بالنفاذ لايقبل معارضة ولا تأجيلا ولا نقضا ولا ابراما بأنك وجيشك من المنصورين .

أما قاضي المحكمة فهو رب العالمين وأما حاجبها جبريل الأمين وأما مبلغ حكمها فهو أنا الخليل ابراهيم عليه وعلى نبينا محمد وجميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلوات وأتم التسليمات » .

فاهنأ ياأصفهان بما أنعم عليك من قبل الله وكن من الصابرين .

دهش الملك وأخذته رجفة عظيمة وملأ جسمه عرق كبير وخر لربه ساجداً يشكره ويحمده ويثني عليه ويكبره ويبكي بين يديه ويبتهل إليه أن يفرج كربه .

ثم غادر خلوته وذهب الى ديوانه على غير عادته مبكراً وطلب وزيره ومجلس شوراه .

ذهب الحجاب مسرعين الى القصور منادين فلبس الرجال ملابسهم على عجل وحضروا بين يدى الملك العادل مذهولين ومستغربين فأمرهم بالجلوس فجلسوا ولبعضهم ملتفتين وصامتين شغوفين بسماع الخبر اليقين وكأن لسان حالهم يقول : أخبرنا يا أصفهان بما جرى فاننا لسماع النبأ مشتاقون .

نظر الملك إليهم ومحياه باد عليه البشر والانشراح وتحدث إليهم قائلا : أظنكم تعجبون لطلبي إياكم هذه الساعة المبكرة ولو علمتم ما أكرمني به ربي الليلة لتمنيتم أن لو كنتم معي .

فقام الجميع مشيرين بأيديهم لمولاهم الملك إشارة التوسل والرجاء . خبرنا يامولانا بما منحك الليلة به الاله المعبود . فقص عليهم مارأى وما سمع فاستولى البكاء على أغلبهم لهذا الاكرام الربانى العظيم وحمدوا الله كثيراً وأثنوا عليه ونطق أحدهم وهو عمر بن اليزيد كأنه يتمثل بقول القائل :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

ثم رد وردان بن صهيب كبير الجلساء قائلا :

هى منحة الرحمن تهدى للملوك الصالحين
يا ابن الأمير اشدد يدك فالله يحمى المخلصين
والله يحمى الملك من قوم طغاة فاسقين
ولقد ورثت مكانة عليا بين العالمين
قد قلت إن رسولكم قد جاءكم فى خير دين
فالله يحمى شرعه والله يحمى المهتدين
والله يحميكم به دوما على مر السنين

ثم نطق خليل بن اسحق وقال :

هيا بنا نشكر إلها أكرم الملك الأمين
نضع الجباه على مكان طاهر للساجدين
متوسلين وعابدين وحامدين وطالبين
تعجيل نصر للجنود درب العالمين
ثم الصلاة على خليل الله زين العابدين
والآل والصحب الكرام الطيبين الطاهرين

ذهب المجلس الى مكان طاهر لوضع جباههم عليه ساجدين لله شاكرين ما أنعم عليهم به من نصر قريب واطمئنان عاجل وانتهوا من سجودهم وعادوا الى أمكنتهم وقلوبهم جميعا شاعرة بالفرح القريب .

التفت الملك بعد ذلك إلى كبير الجلساء يختبر إيمانه فقال له هل لك ياوردان بعد ذلك أن تسافر الى ملك العرب وملك الهند طالبا المعونة من ملكين عبدين بعد أن شملنا بعطفه الليلة رب العالمين على لسان السيد السند الطاهر رسوله وخليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام . فأسرع الوزير الذى طمس الله على قلبه لخبث نفسه وقال يكون حسنا يامولاى .

فنطق وردان على الفور مجيبا بعد أن نظر وبقية المجلس الى ميلود نظرة الامتعاض والسخرية وقال :

لا يامولاى ، إن حكما يصدر من محكمة العـــدل الالهية ويكلف بتبليغه سيدنا وقدوتنا وإمامنا ومولانا الخليـــل ابراهيم ونلجأ بعد ذلك الى سبيل غيره أظن يا مولاى هذا من شأن ضعيفى الايمان الذين لا يثقون ثقة تامة فى مولى الموالى ثم حول الملك التفاتته الى الوزير ميلود بابتسامته التى عوده عليها وقال له

أو هل هناك شك بعد أن جاءنى البشير بنور اليقين يامیلود ؟

فأجاب ميلود وقال لزيادة الاطمئنان يامولاى على الوطن وجلالتكم

فقال له الملك الطيب القلب .

اطمئن وتوكل على الله فالثقة بالله غاية الأمل والتوكل عليه أزكى عمل ،النجاح بالثبات والحياة بالجهاد والعمل .

الوزير لغروره فى نفسه وخوفه على منصبه وطمعه فى ملك سيده وولى نعمته وعزمه على خيانته طمس الله على بصيرته فضعف إيمانه وضاعت ثقته فى ربه فخرج عن هيئة المؤمنين الموحدين وهل جزاء الخائنين سوى خزى فى الدنيا وفى الآخرة عذاب مهين .

وأعاد الملك التفاتته لكبير جلسائه وقال له :

إن إيمانك لقوى وإن وعد الله لحق ونصره لقريب .

ماان انتهى الملك من نطقه الكريم حتى وجدوا يوسف بن شعيب قائد عام الجيوش بينهم واقفاً دون أن يستأذن فى الدخول لحضرة الملك وباد عليه علامة التعب والجرى وظل يتنهد بصوت متقطع ويقـــول مولاى ! مولاى . لقد نصر الله جيش المؤمنين الليلة نصراً كريماً مؤزراً وأرجو يا مولاى عدم مؤاخذتى فى تبجحى نحو دخولى دون استئذان فقد أنسانى النصر الممزوج بالفرح مع شغفى فى سرعة إخطار مولاى الملك ليطمئن قلبه وترونى ، ولم يتم روايته ـــ يقصد حضوره إلى ديوان الملك جرياً على قدميه ، حتى وقف الملك وقال له :

دعنى أقبلك ومكث يقبله وهو يبكى لشموله برحمة رب العالمين وإنقاذ جيوشه من براثن القوم الكافرين . ووقف جميع المجلس يقبلونه ويهنئونه ويهنئون أنفسهم ثم يلتفتون الى مليكهم مهنئين وهاتفين بأعلى صوتهم من فرط فرحهم « الله أكبر، ينصر الله الملك » « الله أكبر، حفظ الله الملك » « الله أكبر، سبحانه أعز دينه ونصر عبده » « الله أكبر ، صدق الله وعده » وظلوا كذلك والحجاب والخدم اجتمعوا أمام الحجرة الملكية يرددون من شدة فرحهم الهتافات ولكنهم لدخول قاعة العرش لايجرءون فأذن لهم مولاهم بالدخول ولحق بهم بقية خدم القصر وعددهم يزيد على ثلاثة آلاف من جوار وخدم وبقوا قليلا يهتفون حتى أشار لهم الملك اصفهان بالتزام الصمت فسكتوا وأمر المجلس بالجلوس فجلسوا ما عدا الحجاب والخدم . وطلب الملك يوسف بن شعيب للمثول أمامه وقال له اتم روايتك يابشير الملوك

فقال يوسف بن شعيب .

تقهقر الليلة جيشنا تقهقراً غريباً حتى وصل الى سور المدينة فالباب العمومى للهرب من جيش العدو وجيش العدو من ورائه محيط والقتلى والجرحى من جيشنا بصفة مستمرة حتى فقدنا الأمل فى النصر وأمرت بفتح باب السور العمومى وفتح فعلا ودخل عدد كبير من الجيش هارباً وإذا يامولاى نرى شهباً ثاقبة تتساقط على جيش الكافرين من السماء فتنزل عليهم فتصير ناراً حامية محرقة تنسف منهم عدداً عديداً . هذا يامولاى من ناحية ومن ناحية أخرى رأينا أناسا طويلى القامة عريضى الأجسام أقوياء البنية شديدى بياض الثياب لم نر لهم مثيلا فى القوة والشجاعة والفروسية اصطفوا صفوفاً كثيرة فى ساحات فسيحة حتى التفوا حول جيوشهم جميعاً على شكل حلقة ومكثت النيران تنزل عليهم من فوقهم فتحرقهم والجنود ملتفة حولهم تقتل فيهم حتى مطلع الفجر وإذا بنا يامولاى لانرى لتلك الجيوش والشهب أثراً ورأينا جيوشهم العديدة وآلافهم المؤلفة أصبح من الممكن عدها واعتقادى انها لاتزيد عن خمسة آلاف وفى تلك اللحظة أمرت جيشنا بالهجوم لمواصلة القتال فهجم الجيش واكتسح البقية الباقية حتى وصلنا الى مكاننا الأول الذى بدئت فيه المعركة عند سواحل البحار فهرب من الجيش من هرب وغرق فى البحر من غرق والباقون بعد ذلك ركبوا سفنهم وعادوا

إلى بلادهم وهم يقولون بحونا بالعجوبة وعزمنا على ألا نعود الى نار جهنم الحامية .

بعد هذا يامولاى أمرت الجيش بالعودة الى ثكناته بعد أن تركنا قوة عظيمة لحرس السواحل ثم أمرت فرق الطبول والدفوف والنايات بالعزف ابتهاجاً بهذا النصر المبين . وقد أتيت جارياً على قدمى تاركا ورائى هتافات الجنود والقواد المفرحة لأزف لجلالتكم بشرى الظفر والانتصار .

بعد ذلك ماذا يكون موضع الخبر فى قلب الملك الصالح وصحبه الأوفياء .

ثم ماذا يكون موضعه فى قلب الوزير ميلود الذى كان يرجو الوصول وهو على أحر من الجمر الى هذا الأمل لإتمام بناء أمانيه . ظاهر موقع خبر كهذا فى نفس الملك ورجاله الأمناء من نفوسهم . فهو أملهم المنشود وضالتهم التائهة وبغيتهم الوحيدة من الله الذى كانوا يبتهلون إليه بتعجيل تحقيقها حفظاً لدينهم وحماية لوطنهم وأنفسهم .

وواضح كذلك بعد وصول هذه البشرى إليهم أن تزيدهم يقينا على يقينهم وثباتاً على مبدئهم وعقيدتهم وخضوعا وخشوعا لربهم . ثم تزيدهم أيضا تلك البشرى ولاء ومحبة لمليكهم الولى الصالح الذى نصرهم الله لأجله وحفظهم من دول الكفر والطغيان إكراما له .

وظاهر أيضا موقع هذا الخبر فى نفس الوزير ، فهو يزيد نفسه الخبيثة المضى فى سبيلها لتحقيق غرضها . ولكن هل يستوى الأعمى والبصير ، أو هل تتساوى الظلمة والنور . لا والله ، إن الأمين يصل إلى حيث أكرمه الله بأمانته ، والخائن لابد وأن يصليه ربه ناراً حامية خالداً فيها جزاء غدره وإجرامه .

ونحب أن نصف نبذة بعد سماع الملك ورجاله رواية القائد العام للجيوش حيث سجدوا جميعهم وعلى رأسهم الملك سجدة الشكر بالمسكنة والذلة لرب القدرة والعزة ثم اعتدلوا من سجودهم وكان وقت الظهر فى تلك الآونة لم يبق عليه إلا مسافة تناولهم طعام الفطور . فأمر الملك بإعداد موائد الطعام لتناول الأفطار حيث شعروا بالجوع بعد أن اطمأنت قلوبهم .

وقال لهم بعد تناول الفطور امتطوا جميعا صهوة جوادكم وطوفوا بأنحاء مدينتكم لإعلام الشعب بنصر الله لجيوشكم ثم التفت الى وزيره وقال :

كلف المنادين يا ميلود بالرحيل الى البلاد لإبلاغهم الخبر حتى يعم الفرح والسرور جميع دولتكم .

فقال الجميع وجبت يا مولانا ، أما ميلود فقال :

الصحب الكرام يا مولاى يظرفون بدونى حيث إذا رآنى الشعب معهم يكون الزحام شديداً عليهم .

أما أنا فسيكون طوافى بعدهم لأننى أتحمل الزحام فأجابه الملك وقال له :

حسنا ، كأنك يا وزيرى تحس بمكانتك الرفيعة فى قلوب الأمة . فتقدم ميلود بين قدميه وقال :

مكانتى الرفيعة فى الشعب لم أصل إليها إلا بفضلكم ورضاكم على أعزكم الله يا مولاى

ثم استطرد قائلا :

وأى فرح اليوم يحوطنى ، وأى سرور الساعة يعمنى ، وأى حبور الآن يغمرنى ، فرح النصر وسرور الظفر وحبور الاطمئنان بدوام عرشك وملكك السعيد يا ولى الله حفظك الله ورعاك وأحاطك دواما بعنايته وحماك وأدام عليك نعمة الطهر والسر المصون ثم أنشد قائلا :

لولاك ما نصر الإله ... جيوشنا يا أصفهان
جاء الخليل مبلغا ... والنور قد بلغ العنان
أحكام رب نافذة ... منحت إلى ملك الزمان
فلنشكرنك ربنا ... قد عم أعدانا الهوان
ونصرت من تبع الخليل ... ومن بغيرك يستعان
فالحمد لله المعز ... لشرعه فى كل آن

رأى الجمع حالة الوزير هذه فغالطوا أنفسهم ورفعوا أيديهم الى الله داعين ومبهلين أن يجعله ربه هكذا .

إنصرف المجلس ليعلم الشعب بأحسن خبر لم يسبق أن سمعوا بمثله فى حياتهم وبقى الوزير مع الملك يتحادثان . وهنا نقول أن الساعة التى يرمى إليها الوزير قد حانت وهى ساعة غبطة الملك وسروره اللتين قل أن يجود الزمان بمثلهما ، فرأى الوزير أن هذا الظرف هو أحسن مناسبة يعرض فيها رأيه القديم . فتقدم بجوار الملك بلطف

وتكلم بصوت خافت ينم على تصنع ولاء ووفاء وقال :

أما والآن يا مولاى قد عمنا الرب الكريم بفيض من إحسانه وعطفه ، وشملنا بنصره ، فبعد أن تستقر الأمور فى أنحاء البلاد أقترح على مولاى أن يوافق على تحديد ثلاثة أيام فى الأسبوع لمقابلتى لأفراد الشعب وقضاء مصالحهم التى يرجونها والنظر فى شكاياتهم وظلاماتهم . وكذلك أرجو الموافقة على اختلاطى بالشعب ومفاجآتهم فى أعمالهم والتجسس ليسلا حول دورهم للنظر فى متاعبهم والعمل على تحقيق راحتهم وفى ذلك يامولاى ما يزيدهم تعلقاً بأهداب العرش ويرفعنا درجات عند ربنا .

وبهذا تسجل لمولاى أحسن الذكريات على مر الدهور وأبلغ أنا أمنيتى التى أرجوها وهى القضاء على الأضاليل والأكاذيب التى ينشرها الذين لاهمّ لهم غير التشويش ودوام الفتن بيننا وبذلك يدوم الصفاء ويعم الولاء .

قال الملك : وما يمنعك ياميلود من سلوك أى طريق يعود على الوطن وعلينا بالأمن والسلام . غاية الأمر أنى أنصحك بألا يدخل نفسك الغرور . فكلما تواضعت لربك وأخلصت للملك كلما رفع الله من شأنك ، وفقك الله لما فيه الخير والسداد .

انتهى الملك من حديثه ومضت برهة بسيطة من الزمن وإذا بوحدات الجيش تتقدم الشعب حيث عاد القائد العام إلى الجيش وأمره بالخروج إلى المدينة والطواف بها معلنا النصر فاختلط الجيش والشعب وتلاقيا بأعضاء مجلس الملك وتوجه الكل الى قصر الملك يهنئون ويكبرون ويهتفون وقد حمل جميع أعضاء المجلس الملكى على الأعناق فرحا وسروراً بهذا النصر الالهى المفاجىء الذى ما كان يحلم أحد به والذى أنقذهم من ويلات حرب كانت ستكتب عليهم الذلة والانكسار والعبودية الى الأبد . وهل من المستطاع هنا وصف البشر والهناء الذى بدت فيه جميع المدينة على اختلاف طبقاتها مجتمعة أمام بيت الملك العادل . كلا . فالدفوف ضاربة والمزامير عازفة والنساء من غردة والجموع مصفقة ومهللة ومنادية بحياة الملك وصحبه ووزيره ، السادة الصالحين.

وبقيت المدينة على هذا الحال أياما طويلة يرد عليها الآلاف العديدة من مختلف البلاد يتوجهون بالليل والنهار الى قصر سعدهم ومهجة أرواحهم مجددين العهد والميثاق ولا أحدثك عن وصف ما كانوا عليه من منتهى الغبطة والسرور والابتهاج .

ثم هل لى أن أصف مناظر السرادقات العديدة والولائم المستمرة المزودة بأفخر

أصناف اللحوم وأشهى أنواع الطعام التى أمر الملك بإقامتها لاستضافة أعز الأحباء إليه وهم رجاله القادمون من مختلف أنحاء البلاد لتقديم فروض التهنئة بالنصر المبين . والله إنها لمناظر سارة مفرحة يزيدها رونقا على رونقها ما حاطها من خطب فياضة وقصائد عصماء من كثيرين من أفراد الشعب وعدد غير قليل من رجال مجلس الملك . ومما لاشك فيه أن هذه المناسبة لاتفوت الوزير ميلود الذى يحرص تمام الحرص على إظهار لباقته وشقشقته اللسانية وأسلوبه الخداع وعباراته الساحرة لملايين الرجال الذين حضروا من أنحاء البلاد متظاهراً بكلماته الجذابة بغاية المحبـــة والتقديس لذات الملك ولكن وراء هذا ماوراءه . وسيظهر للقارىء الكريم بعد صحائف قليلة آتية .

ثم لما جاء آخر يوم وينقضى عقبه أعياد النصر هـذه ارتجل الملك العادل خطاباً حماسياً شائقا انصرفت الجموع بعده ولسانهم جميعا يلهج بالحمد والثناء والابتهال إلى خالق الأرض والسماء أن يحفظ ذاته الكريمة لهم وألا يحرمهم من حياته الغالية .

إنفضت الجموع وعادت إلى بلادها وهدأت المدينة واستقرت أعمالها واطمأنت النفوس وعاد إليها صفاؤها واطمأنت القلوب وعاد إليها حبورها .

واستمرت البلاد على هذا الهـــدوء والاطمئنان لا ترجو من الله سوى القبول والرضوان والوصول الى الغاية المطلوبة من رقى وعمران وحضارة وعرفان .

الوزير ونظـــامه الجديد

أصدر الوزير ميلود أوامره إلى المنادين بالتجول فى أنحاء المدينة وأنحاء البـــلاد للتنبيه على عامة الشعب بأن الوزير أمر أن يطرق بابه كل مظلوم أو صاحب حاجة وسيجد من الوزير كل صدر رحب لسماع شكواه مع سرعة البت فى موضوعه على أساس ما تقتضيه العدالة . وقد حدد لذلك ثلاثة أيام من كل أسبوع للمقابلة وسيمر بنفسه كل ليلة بأنحاء المدينة للوقوف على حالة الشعب ، كما وقد حدد يوما أيضا من كل أسبوع يسافر فيه بالترتيب لكل بلدة من بلدان الدولة لهذا الغرض . وعلى كل شاك أن يتقدم بشكواه فى أى وقت من هذه الأوقات دون خوف أو توان .

وفى نفس هذا اليوم استدعى الوزير أربعة من قواد الجيش وكلفهم بالحضور له يوميا لمرافقته أثناء تجوله فى المدينة وعلى أن يبدءوا بالحضور ابتـــداء من مساء ذلك

اليوم والقواد الأربعة أسماؤهم كالآتى .

(١) قس بن يعرب (٢) سالم بن الياس

(٣) خالد بن خلف (٤) عمر بن سوبلم

وقوع الخبر فى نفوس الرعية

وقع الخبر فى نفوس أهل المدينة والبلاد التابعة لدولة الملك العادل موقع الاعجاب والاجلال والتقدير وسر كل مظلوم لقرب وصول حقه إليه وتفريج همه وشعر كل فقير أو محتاج بأن الله قد استجاب رجاءه وقد قرب البعيد لتحسين حالته . كما واعتقد كل ظالم بخيبة أمله وردعه عن غيه وصارت الناس كافة يترقبون مقدم وزيرهم لشرح حالاتهم له .

الوزير يهيم فرحاً بما رآه فى تجواله

جاء الوقت المحدد للطواف بالمدينة وحضر القواد فى ميعادهم المحدد حسب أمر رئيسهم وصحبوا الوزير فى مروره . وما أن وصل الوزير لأول حى من أحياء المدينة حتى تسابق أهل الحى لاستقباله والالتفاف حول ركابه هاتفين ومحيين ومنادين بحياته وهو يرد على تحياتهم ضاحكا وشاكراً وصار يتحدث معهم متبسطاً وملاطفاً ثم أمر بأن يصطف الشاكون وصاحبو الحاجات صفوفاً لسماع شكاياتهم ثم كلف القواد بأخذ أسمائهم ونوع شكاياتهم فى مذكرات وطلب منهم مقابلته فى اليوم التالى للنظر فى مسائلهم والعمل على قضاء حوائجهم ثم رجاهم بعد ذلك أن يذهب كل لعمله فى هدوء وسكينة بعد أن أفهمهم أنه الخادم الوفى لأقل فرد بينهم وبعد أن وزع عليهم كثيراً من الأموال التى ختم أوامرها بختم الملك وأمر أمين بيت المال بصرفها . ويتلاحظ أن هذه الأموال التى أمر أمين بيت المال بصرفها هى من الضرائب المجموعة من الأهالى والجزية السنوية المدفوعة من أغنيائهم ومن مخصصات الملك ومجلس شوراه التى يضعونها بين الآونة والأخرى فى بيت المال للأمور الهامة كشراء مؤن الجيش وقت الحرب أو إنشاء مشاريع أو تنظيم طرق أو استقبال ضيوف وغير ذلك . ولكن هل يعرف الوزير ذلك ؟ تجاهل الأمر وإن كان يعلمه .

إنصرف الجمع والكل هاتف بحياة الوزير العادل المخلص لشعبه ، العامل على راحته وإسعاده والشعب البرىء الوفى يعتقد أن هذه الأعمال الجليلة التى يقوم بها الوزير هى إرضاء للملك وتفانياً فى حبه وإخلاصاً لشعبه .

والوزير لا يرجو من وراء ذلك سوى تحقيق أحلامه .

إنصرف ذلك الوزير بعد ذلك إلى سوق الناحية نفسه لاستقباله كبار التجار والأعيان وتقدم أحدهم ورجاه تشريف محله فوافق بعد أن أرجأه الانتظار لحين المرور على محال الحى التجارية وتفقد شئون أعماله .

اكتظ الشارع العمومى بجموع من الرجال والشبان والصبية والبنات والنساء ينادين والكل ينادى بأعلى صوته بحياة الوزير العادل الديموقراطى ومكث الوزير يدخل حانوتاً ويحيى أصحابه ويحادثهم وهو فى غاية من البشاشة والتواضع ثم يصافحهم منصرفاً يداً بيد ويترك ذاك الحانوت ويتوجه إلى غيره وهكذا حتى انتهى من زيارة جميع محال الحى ثم توجه إلى من سبق طلب زيارته فاستراح وقواده معه مدة من الزمن واستأذن فى الانصراف مشيعاً من صاحب الحانوت وأصحاب الحوانيت الأخرى بمثل ما استقبل به من عظيم الاجلال ووفور التقدير وعاد الوزير وقواده ثم أمرهم بالانصراف شاكراً لهم ما تحملوه فى سبيل مرافقته من زحام شديد وافساح الطريق له والوقوف فى انتظار انتهائه من أداء مهمته وغير ذلك .

عاد الوزير ومن غير شك قد هيأت له نفسه ما وصل إليه من مكانة رفيعة فى قلوب الناس كما وهيأت له نفسه الذميمة وهو المنظور اليه من أرفع الدرجات وأرقى المكانات وتقول له تلك النفس الدنيئة بعد أن تسجل لك الطاعة العمياء من هؤلاء الأقوام وتضمن قبض قلوب الشعب فى يديك تحركها كيف تشاء وتوجهها إلى حيث تحب هلا يكون لك سوى الجلوس على العرش وطرد صاحبه الذى لا يستحق هذه المكانة ؟ وذلك لأنه لم يصل اليها ولأنه لم يتخذ ما اتخذت من أسباب بوأته هذه المكانة الرفيعة وأصبح بذلك لا يستحقها وأصبحت أنت المستحق للجلوس على أريكة الملك تحقيقاً لرغبة هذا الشعب الكريم .

صارت النفس اللئيمة توسوس له بهذا وصار صاحبها مشوقاً غزير الشوق لتحقيق

أحلام هذه النفس وأخيراً لم يجد جواباً يسكت به تلك النفس الأثيمة غير أن أجابها بقوله عما قريب تتحقق الأحلام وتنال أيتها النفس ما تصبين إليه .

انقضى وقت طويل من الليل على الملك ومجلس شوراه ولم يحضر الوزير كعادته فانتبه كبير المجلساء لهذا وسأل مولاه الملك قائلا :

مولاى أدام الله عزك ، لم نر الوزير بيننا كعادته الليلة لعل مانعه من الحضور يكون خيراً .

فأجابه الملك قائلا :

الوزير ميلود موجود بخير والحمد لله غاية الأمر أنه عرض على اقتراحاً لم أمانع فى موافقته عليه .

فرد أعضاء المجلس جميعاً وقالوا وما هو ذلك الاقتراح يامولانا أعزك الله وأدام ملكك ؟

فقال الملك :

هو تخصيص ثلاثة أيام فى الاسبوع لاستقبال اصحاب الشكايات، والحاجات والمظلومين من عامة الشعب ثم التجول يومياً فى أنحاء المدينة للتجسس، وتفقد حالة الشعب والاستماع إلى شكواهم .

فالتفت أعضاء المجلس كل إلى زميله فى سكوت ودهشة وبانت على وجوههم علامات الحزن والكآبة وطأطئوا رءوسهم فى الأرض واجمين .

فنظر الملك إليهم نظرة المستغرب لما بدا عليهم من حالة سيئة تخالف ما كانوا عليه قبل إعلامهم بخبر الوزير .

وقال لهم .

ما لى أرى وجوهكم قد تغيرت وبانت عليها علامات الحزن العميق والتأثير البالغ وكأننى أخبرتكم بأسوأ نبأ وقع عليكم وقوع الصاعقة ، حدثونى ما الرأى .

فرد كبير المجلساء وقال هل لمولاى ان يتفضل بالإذن لى أن أتكلم فى بحبوحة من الصراحة برأيى وهو لا شك ما أراه رأى بقية الأخوان ؟

قال يا مولاى أعزك الله وأدام سعدك وأيد ملكك إن وزيراً أى حاكما عاماً على الدولة بأمركم والشعب يعلم ذلك يعرض عليكم أن يتخذ طريقاً كهذا وهو طريق التجول بانحاء المدينة لتفقد حالة الرعية وسؤالهم عن متاعبهم والاستماع إلى شكاياتهم وظلاماتهم والعمل على إراحتهم ورفع الظلم عنهم وسرعة البت فيما يرجون ويحبون ثم بعد ذلك يا مولاى يعلن بأن بابه مفتوح لكل من يطرقه من أصحاب الحاجات وأرباب المظالم وأنه ينظر فيها سريعاً وتوافقون على ذلك هذا أمر ربما يعود يامولاى فى القريب العاجل بما لا يحمد عقباه .

قال الملك وما معنى ما لا يحمد عقباه يا وردان .

فأجابه وردان قائلا إعطنى الإذن والأمان أن أتكلم بغاية الصراحة.

قال الملك :

سبق ياوردان أن أعطيتك الإذن للتكلم بكل صراحة .

فقال يا مولاى

رجل يختلط بالرعية يومياً ويقضى لهم جميع حوائجهم ويفهمهم أنه هو المتصرف فى حالاتهم جميعاً وأنه لا يستطيع أحد غيره أن يرفع الظلم عنهم وبنيابهم ما يبغون وما يرجون ثم يحدد لهم ثلاثة أيام فى الاسبوع لاستقبال أصحاب الحوائج منهم فهذا يا مولاى أمر لو استمر عليه شهرين فقط لتمكن من قلوب الشعب تماماً وأصبح الشعب لا يعرف سوى ميلود وأضحى ميلود مغروراً بنفسه معتقداً أن مكانته فى قلوب الرعية صارت هى المكانة العليا وربما يؤدى به غروره ونفسه التى نرى فيها جميعاً أنها لو ملكت وتمكنت كانت الطامة الكبرى حيث تسول له أن ينادى به ملكا على البلاد بكل تبجح ووراء هذا يامولاى ما وراءه وقد استأذنت جلالتكم فى الإدلاء بما فى نفسى بمنتهى الصراحة وقد أدليت ثم التفت وردان إلى بقية أعضاء المجلس وقال لهم أقسمت عليكم برب زمزم والحطيم ألستم ترون أننى صارحت مولاى بما فى قلوبكم جميعا ؟ فردوا فى صوت واحد وقالوا نعم صدقت ياوردان فيما أخبرت الساعة به مولانا ثم رد أحدهم موسى بن غوزان وقال

إن قلوبنا تشعر تماما يامولاى بما يشعر به أخونا وردان والله يشهد أننا لم نبغ شيئا سوى حفظ عرشكم من القوم الحاسدين وأن رجلا جمعتنى الصدفة معه من أربعة أيام مضت وهو من كبار عائلة العجاجات لحقته وانا فى حديقة بيتى وكان قريبا منى فحيانى فدعوته للجلوس معى فبعد أن جلس قليلا وأنا أحييه وأرحب به سألنى فى شغف عن صحة مولاى الملك الغالية التى هى أمنية الرعية وإلى هنا اغرورقت عينا موسى بن فوزان بالدموع وكان منظراً مؤثراً .

ثم استطرد فقال

دعونا الله أن يحفظكم للبلاد ذخراً وأن يبارك لنا فى حياتكم الغالية وأن يحميكم وأمتكم من اعتداء المعتدين

ثم عرج الرجل فى حديثه يا مولاى وقال لى وقد بدا على وجهه التأثر العميق إلا أننى يا سيدى أعتقد أن أمة الملك من أقصاها إلى أقصاها قد احتلت احتلالا إلى الأبد فقلت له وكيف ذلك يا أخى

قال أى لقد احتل الوزير ميلود قلوبهم وأصبح يستطيع أن يحركهم كيف شاء . (وقد فهمت تماما يا مولاى أنه متألم من حالة الوزير هذه وطبعا هذه الحالة إن دلت على شىء فانما تدل على منتهى ولائه لذاتكم المصونة) فأردت أن أغطى الموقف عليه فأجبته مسرعا وقلت إنه لم يتبوأ هذا المقعد فى قلوب الرعية إلا لعلمهم ان مولاه الملك عنه راض فرضاء الشعب عليه مستمد من رضاء مولانا وإجلالهم له واحترامهم لعلمهم ان مولانا يقدره ثم أتممنا حديثنا وانصرفنا

هذه يا مولانا حالة أخرى قد أحس بها فرد من كبار أفراد الشعب

ما أن خرجت آخر كلمة من فم موسى بن فوزان حتى نطق اسماعيل بن ابراهيم قائلا مولاى ! أما وأصبحت الحالة هذه فنرجو من مقام جلالتكم التفضل بوضع حد حاسم لهذه الفعال كلها

ثم اختتم بعد ذلك حديث المجلس بكلمة يحيى بن مدكور حيث قال

مولاى ! وبهذا تذهب الشكوك وتنزع الوساوس التى فى نفوسنا . واللهم لا شماتة

ولا غيرة ولا حسداً وانما هو خالص الوفاء وكامل الولاء ثم رفع يده متوسلا إلى الله وداعيا وقال اللهم نسألك ان تشمل بعنايتك ولطفك ورعايتك ملكنا العادل وان تديم نصره ونضر جيوشه

أمهل الملك باله عليهم وأفسح صدره لسماع حديثهم وانتظر عليهم حتى انتهوا جميعا من كلامهم ثم رد عليهم مجيبا وقد ظهرت على وجهه علامات القبول بعد أن اقتنع بعض الاقتناع ثم قال لهم ، جميل جداً أن أرى منكم هذا الشعور وحسن جداً أن تظهر هذه الغيرة المحمودة وما دمتم قد أجمعتم أمركم على هذا فلست أنا ممن يستقلون بآرائهم لأنه من الخطورة أن يستقل المرء برأيه ويترك مشورة إخوانه وقد أوصانا الخليل ابراهيم عليه سلام الله ألا نستقل بآرائنا وأن نعمل دائما بمشورة أولى الرأى السديد من أهل ديننا من الموثوق فى آرائهم وإخلاصهم ، وأنتم يا من اخترتكم من خلاصة الأمة وبعضكم من اختيار آبائى وأجدادى ويا من أنزلكم منزلة الأحباء الصالحين ويا من أحبكم كنفسى التى بين جنبى كيف لا أنفذ لكم رغبتكم بعد أن أجمعتم آراءكم أن فى تنفيذ هذه الرغبة ما يعود على العرش بالأمن والطمأنينة فأمامكم ثلاثة أيام تتشاورون فيها بينكم فى الأمر الذى نرسمه ونسير على ضوئه بحيث لا ينجم بصدده ألم فى نفس وزيرنا أو إحداث أمور نخشاها واعرضوا علىّ أمركم وما اتفق عليه لاعتماده بمشيئة الله .

رد بعد ذلك عمر بن اليزيد وقال ننتهى من إنجاز هذا الموضوع الليلة فى بيت كبيرنا ونعرض النتيجة على مولانا باكراً بإذن الله تعالى .

نطق وردان بن صعيب وقال وجبت ياعمر .

ثم رد الملك وقال لامانع وفقكم الله لما فيه الخير .

دخل الوزير على الملك مجيبـــا فأمره الملك بالجلوس فجلس وقد لمع بفرط ذكائه فكرا يعقبه تغير على الملك ومجلسه ومضت برهة من الزمن ولم يتكلم أحد ولم يتحدث الملك مع وزيره كعادته .

فقال الوزير مولاى

أجابه الملك بنعم

قال : ذهبت لأول مرة اليوم لأنفذ ما اقترحته على جلالتكم ونال موافقتكم وابتدأت

بالحى الأول ومعى أربعة من قواد الجيش وما أن لمحنى اهل الحى حتى اجتمعوا حولى واشتد زحامهم وتعالت نداماتهم وهتافاتهم بالدعوات لمولاى فأفهمتهم أننى رسول مولاى الملك لهم وحضرت إليهم لأسمع شكايات أرباب المظالم منهم وأعجل بإنصاف المظلومين . كما وأن مولاى الملك كلفنى أن أبلغكم أنه حدد ثلاثة أيام فى الأسبوع ليطرق بابه كل صاحب حاجة وقد أنابنى فى مقابلة أرباب الحاجات للعمل على قضاء مصالحهم على أساس ما تقتضيه العدالة . فوجدت يامولاى سروراً عظيما من الجماعات لهذا النظام الجديد ووجدت جماعات تجرى بعيداً الى مكان سوق الحى ويخبرون اخوانهم الآخرين بما سمعوا وإذا بالزحام يشتد وإذا بالجموع تكثر وإذا بالدعوات تملو بحياة جلالتكم وبقيت وسط هذه الكتل البشرية متحملا زحامهم وراجيا منهم إفساح الطريق حتى أتمكن من العودة . وما تخلصت منهم يا مولاى إلا بكل صعوبة وقد عدت الساعة وأنا أحمل لمولاى كل تحية وإجلال وتقدير من ذلك الشعب الأبى الكريم .

رد عليه الملك قائلا :

رفقنا الله يا ميادالى ما فيه خير الوطن ثم قام الملك وتبعه الكل وقال لهم الملك انصرفوا حيث ميعاد الراحة قد أتى وأننى أرى فى عيونكم الكرى .

انصرف الملك وانصرف المجلس والوزير سوياً حتى وصلوا الى باب القصر الخارجى والخدم فى حراستهم فقال لهم الوزير تفضلوا معنا .

أجابوه شكراً ياسيدى .

وصل أعضاء مجلس الملك الى بيت حسكبيرهم برفقته فبعد أن مدت موائد العشاء وتناولوا الأكل وكان ميعاد الأكل قد فات بكثير توجهوا جميعا الى حجرة الاستقبال وبدءوا المشاورات فى ذلك الأمر الذى يحسون جميعا بشدة خطورته .

إلى هنا نتكلم قليلا فى حالة الوزير فى تلك الليلة حيث لم يتذوق للنوم طعما إذ رقد فى فراشه مغموما حزينا كئيبا لشعوره بما لمحه فى وجه الملك وجلسائه وما رآه فى وجوههم من فهم خطته وخيبات نواياه وربما عاد عليه هذا بما لا يحقق آماله ومرماه ولبث على هذا حتى ظهر النهار بضيائه .

ثم نعود الى رجال مجلس الملك الأمناء الذين استقر رأيهم بعد أخذ ورد وقبول ورفض على اتخاذ القرارات الآتية :

اولا ــ عدم السماح للوزير مطلقا بالتجول فى أنحاء المدينة للوقوف على أحوال الرعية والنظر فى شكاياتهم وبحث ظلاماتهم والعمل على إراحتهم وتحقيق مطالبهم حيث إن هذا الأمر من اختصاص ملك البلاد فقط.

ثانيا ــ إلغاء الثلاثة الأيام التى حددها الوزير لمقابلة جماعات الشعب خلالها والنظر فى ملتمساتهم وجعل النظام الأول هو المتبع وهو أن يطرق باب الملك كل سائل ومحتاج وشاك ومظلوم وأن يكون مقابلة صاحب الحاجة للملك رأسا .

ثالثا ــ مبالغة فى عدل الملك تجعل خارج القصر سلسلة طويلة تنتهى بناقوس قريب من مجلس الملك يأتى المتظلم من ظاهر الدار فيحرك السلسلة فيصلصل الجرس فيسمعه الملك فيأمر بإحضار المتظلم أو الشاكى وينظر فى مطلبه وينصفه .

رابعا ــ عدم تصريف الوزير أى أمر من أمور الدولة إلا بعد عرضه أولا على ملك البلاد الشرعى .

خامسا ــ لا قدر الله وحدث للملك مرض أو احتجب فى قصره الخاص لأمر من الأمور لايكون للوزير الحق فى تصريف أى موضوع إلا بعد عرضه على مجلس شورى الملك .

تم اتفاق المجلس على هذا وانصرف كل الى بيته وطلع النهار على هؤلاء الرجال الأفاضل وعلى وجوههم نضرة من رضوان الله جزاء صفاء قلوبهم لمليكهم وحسن نواياهم .

توجه الوزير الى مكانه المعد له فى ديوان الملك وتوجه المجلس واحداً يتبعه الآخر الى حجرة الانتظار المعدة لهم لحين تشريف الملك ديوان أعمـــاله يدعوهم لقاعة عرشه .

شرف صاحب العرش مقر حكمه ووجهه وضاء بنور الايمان واليقين بالله بعد أن قضى ليلته فى عبادة ربه وطلب جلساءه الذين بات يشعر لهم فى قلبه الطاهر حسن شعورهم نحوه وعظيم وفائهم . فبعد أن حضروا جميعا وأمرهم بالجلوس قال لهم كيف حالكم؟

قالوا بخير وإن الله لمحمود وله المكارم والعلا والجود .

قال ما انتهى عليه رأيكم واستقر له قراركم ؟

قالوا خيرا ان شاء الله يامولانا والله يشهد اننا دائماً لانسير إلا فى طريق الخير .

ثم تكلم كبير المجلساء وقال

لقد استقر رأينا الليلة بعد ان عالجنا الأمر من جميع نواحيه وقتلناه بحثاً على كذا وكذا وصاروا يذكرون له ما اتفق عليه جمعهم ودونوه فى سجلهم للعرض عليه للتفضل بالموافقة مع اعلام الوزير بغاية السرعة للسير على أساسه

أمر الملك باستدعاء الوزير فحضر وأمره الملك بالجلوس وقال له

يا ميلود إن ما اقترحته علىّ فى الماضى القريب لم يوافق مجلسنا الموقر هذا عليه والسبب فى ذلك أن المجلس لما لم يجدك بالأمس بيننا كعادتك سألنا عنك فأطلعناه على خطتك التى عرضتها علينا ودارت بسبب هذه الخطة مناقشات نحو هذا الموضوع وانفض المجلس على أن يدون ما يراه صالحاً ومفيداً ومجدياً حيال هذا الأمر وقد جاء المجلس الساعة مدوناً فى سجله هـــذه القرارات فهاك ما رآه أرجو أن تطلع على القرارات بامعان وتعلم بها تماماً وتسير على مقتضاها لأنى والحالة هذه لا أستطيع ان أستبد معك برأينا لأنى أرى فى العرض عن هذه الآراء اجحافا للمجلس ومن استقل برأيه هلك

ارتجفت فرائص الوزير وتغير وجهه واصفر لونه وأخذ سجل المجلس للاطلاع على قرارته ويداه ترتعشان وسكت قليلا ثم قال بصوت خافت

أمركم يامولاى

فقال الملك

هذا ليس بأمرى شخصيا وانما هو رأى المجلس جميعه وقد أمرت بتنفيذه ثم سكت الملك هنيهة وقال

وما الذى يضيرك لو نفذت هذا يا ميلود ؟ أراك قد تألمت لذلك ؟

قال ميلود أبداً يا مولاى ولكن ... ثم سكت

قال الملك ولكن ماذا هل لك قصد فى هذا الأمر سوى ازدياد وفائك لى وازدياد تعلق الشعب بى ؟

قال الوزير . نعم يا مولاى ورب زمزم والحطيم شهيد على ما أقول

قال الملك إذاً أشكر لك والمجلس هذا الشعور ونأمل ألا يكون هذا قد جعل أثراً فى نفسك .

قال ميلود . وقد فكر فى انتهاز هذه الفرصة للوصول إلى بغيته أو هل بعد رأى هذا المجلس الموقر يكون لى رأى يامولاى غاية الأمر لى رجاء

الملك : ماهو الرجاء خيراً إنشاء الله ؟

الوزير : خيراً ثم استطرد قائلا المدينة بأجمعها أصبحت تعلم أن وزير الملك العادل سيطوف بانحائها مخصصا لكل حى يوما من الأيام وهم مرتقبون ذلك بفارغ صبر وقد وعدتهم أنا بذلك فلامكان التوفيق يامولاى بين تحقيق هذه الرغبة أرى أن أتمم مرورى على بقية الأحياء وذلك يستغرق من اليوم ثمانية أيام ثم أطوف بانحاء البلاد باعتبار يوم لكل ثلاثة بلاد وهذا يستغرق ثمانية عشر يوما ثم نعدل بعد ذلك عن هذه الطريقة كى لا يحدث هرج ومرج بين أفراد الرعية حيث إنهم من الضرورى يتساءلون عن سبب الانقطاع فجأة وربما تكثر فى هذا الأقاويل والافتراءات وأظن جلالتكم ومجلسكم الموقر هذا ليس لديه مانع من الموافقة وربى شهيد على أن رأيى هذا يعبر عن منتهى الولاء لذاتكم المصونة أما بقية البنود يامولاى فعلى الرأس والعين تنفيذها والعمل على مقتضاها

إلتفت الملك إلى أعضاء المجلس وقال لهم مارأيكم أظن أنكم توافقون على ذلك؟

فعلق يحيى بن مدكور ، خليل بن اسحق ، اسماعيل بن ابراهيم ، عمر بن اليزيد بأنهم يوافقون على شرط بعد انتهاء المدة تنتهى هذه العملية ولا يعود لها بعد ذلك وهذا حفظاً لكرامته فقط كوزير .

أما موسى بن فوزان وكبير المجلساء وردان بن صعيب فلم يوافقا على ذلك بتاتا فقال الملك:

أربعة منكم وافقوا ونحن فنكون خمسة وقد أصبح عددنا أكثر فقالا الرأى الأعلى لمولانا مع التماس عذرنا بعدم الموافقة.

فقال الملك :

جزاكما الله عنى أحسن الجزاء شاكر لكما جميل شعوركما والتفت إلى ميلود وقال :
وأنت يا ميـــلود ، إذهب لعملك ونفذ ما ترغب فى بحر تلك المدة والله سبحانه وتعالى يشملنا بعنايته ويتولانا برعايته .

انصرف ميلود لعمله ثم التفت الملك إلى كبير المجلساء وموسى بن فوزان وقال :
لقد فهمت من مناقشتى الساعة مع هذا الوزير أنه تألم من عدم موافقتنا على تنفيذ خطته وكأننى أحس أن له غرضاً فى ذلك وإلا فإذا كانت النية حسنة والوفاء والإخلاص متوفرين فيه حقيقة لنا فعلام هذا الحزن وذلك التألم ؟ .

غاية الأمر أننى رأيت من الحكمة والمصلحة عدم التوسع فى باب كهذا الآن تؤدى نتيجته إلى أن يحمل شيئاً فى نفسه يؤدى ... الخ وسكت ثم قال والله وحده الكفيل بتعديل الأمور .

فرد كبير المجلساء وقال والله وحده الذى نصر جيشكم على خمسة جيوش من دول الكافرين قادر على حفظ عرشكم على مر السنين .

فقال الجمع أى نعم ، وعم الجميع سكوت ممزوج بفكر عميق :

يفهم مما تقدم أن الوهم بدأ يدب فى قلوب أعضاء المجلس الملكى وعلى رأسهم الملك وذلك لما لمسوه من التفاف الشعب حول ذلك الوزير وتفانيه فى حبه فأرادوا أن يتداركوا الأمر أخيراً ولولا ثقة الملك الكلية التى وهبها لهذا الوزير لتدارك الأعضاء الأمر من أوله ولكن القضاء المحتم على هذه الهيئة الوفية وسيدها الأمين لابد أن يروه أجمعين . ثم يفهم كذلك أن الوزير أحس بدنو أيامه وبدء ضياع مكانته لما لمسه الجمع من خطته التى اكتشفوها وفهموها وشعرت قلوبهم تماماً بمقاصده وحيله فماذا يعمل والحالة أصبحت هكذا .

لقد أجمعت آراء المجلس على أنه يرمى باقتراحاته هذه إلى خيانة العرش ثم وافق الملك على ذلك بعد أن لمس من مناقشته إياه بشىء من هذا .

فهل بعد أن أحس الوزير بانتقاد أحواله يتوب ويستقيم ويغير خططه ويسير بسير الوزراء الأوفياء .

كلا . هذا لا يفيد وإذا أفاد لا يوصله إلى المكانة الأولى فى قلب مليكه .

اللهم إلا إذا عرف قدر نفسه حقاً ووجد أن أبسط حدود اللياقة تدعوه إلى حمل حذاء سيده فوق رأسه وبرهن له أنه خادم أمين فقط . فطلب أن تخليه من منصبه وأن يكون جليساً من جلسائه فقط ويترك هذا المنصب الذى كان سبباً فى غروره وخيانة سيده وحوم الشبهـــات حوله . ولكن هل لمثل ميلود أن يفعل ؟ كلا . فهو صاحب النفسية الخبيثة والنية السيئة . تلك النفسية التى تسىء إلى من أحسن إليها وتتمرد على من أكرمها . وهنا يذكر قول الحكيم .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ∴ وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فات ميعاد الديوان على جلسائه سواء أكانوا قضوه فى فكر أو فى تنظيم أمور وتدبير شئون تعود على الدولة بنفع أو اسعاد ، كما وفات على الوزير وهو يستعرض فى نفسه جميع الطرق التى يهدم بها عرش الملك .

وانصرف الكل إلى دورهم وتوجه الملك إلى قصره ثم عادوا فى المساء وعاد الوزير ومكث قليلا حتى حضر القواد وانصرفوا معا لإتمام برنامج الطواف المتفق عليه وكان الوزير وقواده يختمون طوافهم بالمرور على الجيش ليلا والقائد العام غير موجود لتوزيع القناطير المقنطرة من الأموال على كافة الجنود والقواد ويطلب منهم عدم إبلاغ القائد العام كى لا يجازيهم .

وانقضى عشرون يوماً على ذلك والوزير يرتجل الخطابات بين طبقات الشعب التى يزورها ورجال الجيش الذين يختم مروره بهم وذلك مع توزيع الأموال العديدة المشبعة على الأهالى والقواد المرافقين حتى جعل الشعب البرىء والجيش بكلامه فى حيرة من أمر ملكه . فكنت ترى الجماعات من الجيش والشعب فى كل مكان جالسين يتشاورون فمنهم من يزكى الوزير على الملك ويقولون هذا أعدل من أصفهان فى حكمه وأشفق على مصالحنا كثيراً ومنهم من يقول إن مشاغل الملك كثيرة وتمنعه من الطواف بشعبه ولذلك أناب عنه وزيره فى هذا ومنهم من يقول والله لا نستطيع أن نفرق بين الملك والوزير فهذا له محاسن عديدة وذلك فعل خيرات كثيرة ومنهم وهم أولو الألباب من فهموا تدابير ذلك الوزير الخئون ومنهم من يعلمون تماما أن لولا هذا الملك الولى الصالح ما نصرهم الله فى الحرب الماضية .

حسابك على الله أيها الوزير الخائن لينتقم الله منك بعدله . أوجدت الحيرة فى قلوب الرعية البريئة من ناحية ملكهم وحرلت كثيراً من القلوب الطاهرة إليك ظلماً وعدواناً بمكرك وخداعك ولؤمك ولكن هل تنفعك هذه الألاعيب . ألا إن نصر الله قريب .

علم الوزير بعد ذلك بحالة الشعب واختلافهم وتفرقهم جماعات وشيعاً فأراد أن يتدارك الأمر مجازفاً فطلب من القواد الأربعة أن يزوروه فى بيته حوالى منتصف الليل لأمر هام وأظهر لهم من العطف العظيم عليهم الشىء الكثير وعاد فى هذا اليوم وهو اليوم العشرون من بدء تنفيذ البرنامج الى حجرته بديوان الملك بعد إتمام المرور وكان ذلك بالطبع فى وقت المساء ويتصادف فى ذلك الوقت أن أمين بيت المال والمساعدين معه رأوا أن الخزائن فى نقصان وفى تأخر يوماً عن يوم ونفقات الملك على الشعب كثرت جداً فى تلك الأيام ، فلا الأمر مقصور على إنفاق الأموال الواردة ،ولا الأموال الموجودة بالخزائن اصلا متروكة بحالتها فرأى أمين بيت المال أن السكوت على هذا الحال والملك غير ملتفت إليه ربما يجعله فى موقف مؤاخذة شديدة من مولاه الملك بعد ذلك لاعتباره لم يؤد الأمانة حقها . فطلب التشرف بالمثول بين يدى مولاه فأذن له وقال بعد أداء التحية .

مولاى أعزك الله . إن الأموال الواردة أخيراً مع الأموال الموجودة فى الخزائن بالحجرة الأولى قد نفدت جميعها فهل مع هذا نستمر فى الصرف .

نظر إليه الملك نظرة المندهش المستغرب ودار بين الملك وأمين بيت المال المناقشات الآتية :

الملك : الأموال الواردة أخيراً والأموال الموجودة بالمخازن فى الحجرة الأولى نفدت ؟ .

أمين بيت المال . نعم يامولاى .

الملك : كيف هذا يارجل وبأمر من ؟

الأمين : بأمركم يامولاى .

الملك : بأمرى أنا من يقول ؟ أين هذه الأوامر ؟

الأمين : موجودة جميعها ومختومة بختمكم يا مولاى ومحفوظة لدى .

الملك : أرنيها سريعا . أين هى ! أرنيها ؟ .

الأمين : ينصرف ويعود لاستحضار الأوامر .

الملك : كيف هذا يارجال مجلسنا ! ما هذا ياوردان ؟

وردان بن صعيب : مولاى أعزكم الله . والله انى لفى دهشة وحيرة عظيمتين .

الملك : الأموال الواردة أخيراً والأموال الموجودة بالخزائن فى الحجرة الأولى نفدت جميعها بأوامر مختومة بختمى ؟

خليل بن اسحق يتكلم : من الجائز جداً يا مولاى هذا الخبر وأعتقد أن المتصرف فى هذه الأموال الوزير ميلود لأن ختم جلالتكم لديه .

الملك : نعم ختمى مع ميلود ولكن هل يستطيع أن يتصرف فى كل هذه الأموال بغير استشارتى ! إن هذا لشىء عجيب ؟

وردان بن صعيب : معقول جداً يا مولاى أن يتصرف هـذا الوزير فى تلك الأموال بدون استشارة جلالتكم وغالب ظنى أنه أنفقها على الشعب ومرافقيه .

أمين بيت المال : يستأذن فى الدخول فيؤذن له ثم يقول :

هذه هى الأوامر يامولاى جميعها .

الملك : حقا مختومة بختمنا ولكن يسبق ختمنا (ختم الوزير) وكيف ذلك؟

ثم يلتفت إلى مجلسه وهو فى ثورة شديدة أجيبونى ياجلسائى . ما العمل مع هذا الوزير ؟ إنه رجل سىء النية حقيقة وأنا لا يمكن أن أشك فى رأى وردان أنه أنفقها على الشعب ليزداد تعلقاً به . هلا يارجال إذا كان الأمر كذلك ترون أن يكون جزاؤه الطرد من ديواننا وأن يكون منبوذاً منا نبذة النواة ، أم أن لكم رأياً آخر فى مثل ذلك الوغد الخئون ؟

وردان بن صعيب : رأيى أن يسجن مدة من الزمن عقاباً لما ارتكب ثم يجرد من كل ممتلكاته التى اشتراها حديثاً ولا يتولى أى منصب من مناصب الدولة وهذا كله بعد إخطار الأمة بجميع أعماله .

يحيى بن مدكور : وأنا رأيى أن رجلا كهذا بعد إخطـار الأمة بجميع فعاله

الذميمة يجب أن ينفى خارج البلاد ولا يكون له أثر .

خليل بن اسحق : وأنا أرى الاكتفاء بإبلاغ الشعب بتصرفاته السيئة ونواياه خيانة سيده ودعوة كبار رجال قبائل الدولة للاجتماع مع مجلس شورى الملك للنظر فى أمر ذلك الرجل متى ثبت بعد استجوابه واستجواب أتباعه أن هذه الأموال الطائلة أنفقت لإغراء الشعب وتحويله عن ملك البلاد .

اسماعيل بن ابراهيم : يبدى رأيه وعمر بن اليزيد وموسى بن فوزان يوافقان عليه وهو الاكتفاء بعد ثبوت نوايا الوزير خيانة العرش طرده وإعلان الرعية بأعماله الإجرامية .

الملك يتكلم : قم ياوردان أنت ويحيى واستدعيا ميلود الساعة .

وردان ويحيى : أمركم يامولانا ثم يتوجهان إلى حجرة الوزير ويعودان به ثم يتحدث معهما فى مسكنة . عجيب حضوركما لاستدعائى لمقابلة مولاى حيث لم يسبق مثل هذا من قبل . فهل هناك من حادث ؟

وردان ويحيى : ستعلم الساعة وأنت بين يدى ملك البلاد ما حدث .

ثم يدخلون قاعة العرش ويتمثلون بين يدى الملك .

الملك : اجلس ياوردان ياصاحب الفكر السديد والوفاء العظيم واجلس كذلك ياحيى يا أحد الأقمار الستة الجالسين . أما أنت ياميلود فظل واقفاً حتى ننتهى من مناقشتك .

الملك لميلود : هل بعثت بهذه الأوامر إلى أمين بيت المال لصرفها بعد أن ختمتها بختمك وختمنا ؟

الوزير : نعم ولأول مرة نعم فقط بمجردة من مولاى .

الملك : وبأمر من ؟

الوزير : بأمرى أنا شخصياً .

الملك : ومن أنت وما صفتك ؟ أنت وزير فقط ليس من اختصاصك الأمر بصرف أموال كثيرة كهذه ولا غير كثيرة . وهل سبق لك قبل ذلك صرف أموال دون استشارتى ؟

الوزير : لا

الملك إذاً كيف تتصرف هذا التصرف ؟ .

الوزير : لأنني كوزير أى حاكم عام أمرت بصرفه حيث رأيت فيه المصلحة .

الملك . وكيف تجرؤ وتتبجح بالرد علينا بهذه اللهجة ، ثم كيف تجرؤ على ختم كل هذه الأوامر بدون إذنى ؟ ألم أفهمك عند تسليمك ختمنا عدم الختم به على أموال تصرف إلا باستشارتنا ماعدا السهل من الأمور التى لايدخلها أموال ؟

الوزير : نعم .

الملك : فى أى ناحية صرفت تلك الأموال الطائلة ؟

الوزير : على فقراء الشعب .

الملك : ألم تعلم أن جميع العائلات الفقيرة مخصص لها مبالغ عندنا يحضرون فى كل مدة معينة لاستلامها ؟

الوزير : نعم .

الملك : إن لم تخبرنى بالداعى الحقيقى الذى دعاك لهذا التصرف سآمر بطردك من ديواننا وحرمانك من رضانا طول حياتنا وإعلام الشعب بسوء نواياك . وابتدأ الملك يثور ثانية وقال :

أيها الوزير السيء النية . لقد أحسنا فيك الظن وكثيراً ما غالطنا أنفسنا مراراً بخصوصك وأكرمناك غاية الإكرام لخدمات المرحوم والدك وأرحتك فى كل ماتطلب وحذرنى جميع أعضاء مجلسنا الموقر عاقبة تساهلى معك وإكرامى إليك لهذا الحد ، ثم أهبك تقتى الكلية وأعتقد فيك أنك رجل صالح متدين مخلص وفىّ حسن النية وبعد ذلك تتصرف هذا التصرف القبيح المشين ، إنك لخئون وقد أجرمت فى أعمالك هذه إجراماً لامزيد عليـــه ، فأسرع بإخبارى بما دعاك لهذا بكل صراحة وإلا فالويل والثبور لك .

الوزير : يفكر فى نفسه ويرى أنه إذا ثار فى إجاباته ربما يكون مآله السجن أو الإعدام . فأراد أن يتخلص مؤقتاً لحين تدبير مؤامرته السريعة خصوصاً وقد علم أن طرده لابد منه فأجاب قائلا :

مولاى الملك أعزك الله ، لقد أنفقت هذه الأموال بتوزيعها على الفقراء والمعوزين

وأنا أعلم أن مولاى مخصص مبالغ لهم ولكن قصدى فى هذا الترفيه عنهم مع اخبارهم أن هذا بأمر مولاى الملك لازدياد التعلق والولاء بذاتكم وليس عندى أى اتجـــاه خلاف ذلك .

الملك : ولم لم تستشيرنى فى هذا وأنت تعلم أن هذه الأموال واردة من الشعب وتنفق فى مصالحه وفيما يعود عليه بالإسعاد ؟ وهل الشعب الذى عرف ملكه ودرس أخلاقه أكثر من خمسة عشر عاماً فى حاجة إلى أنك تزيده وتغريه بأموال كهذه ليزداد حبه وولاؤه ؟ أم أن هذا التصرف يجعله يعتقد أن الملك فيما مضى كان مقصراً فى حقه ولا يفقه كيف يسعد شعبه ولولاك ما أغدق الملك عليه هذا الإغداق العظيم وجعله يشعر بمنتهى السعادة حقا ؟ وأعتقد أن هذا يا ميلود هو ماترمى إليه .

الوزير : والله يامولاى هذا قصدى وقد تصرفت هذا التصرف بحسن قصـــد وسلامة نية وأمركم يامولاى .

قائد عام الجيوش يلتمس مقابلة الملك فيؤذن له فيدخل قاعة العرش ويؤدى التحية ويأمره القائد الأعلى بالجلوس .

الملك للقائد العام : خيراً يا يوسف .

القائد العام . خيراً يامولاى ولكننى أرى التأثر باديا على وجهكم . حماك الله من الكدر وأبعد عنك الحزن وأليم الأثر ثم يبكى ويتبعه المجلس جميعه فى البكاء .

الملك : التأثر معى دواماً فى هذه الأيام والفكر محيط بى بصفة مستمرة بخصوص تصرفات هذا الرجل (يقصد الوزير) وأنا أدارى ولكن زاد الأمر على حده كثيراً حتى فوجئت بأسوأ خبر اليوم وهو أشد على نفسى من خبر الحرب الفائتة وهو كذا ، كذا وصار يشرح له حتى انتهى وقال فما رأيك يا يوسف ؟

القائد العام : وعندى ماهو أغرب من ذلك يامولاى

الملك : تكلم يا يوسف ؟

القائد العام : قبل أن أتكلم أستحلف جلالتكم برب زمزم والحطيم ألا تهتم وألا يزداد ألمك وتأثيرك وأن هذا بقضاء الله وقدره وحمداً لله الذى أبان لنا نفسية ميلود قبل أن يستفحل الأمر .

الملك : لك ذلك يا يوسف .

القائد العام : عند توجهى هذا المساء الى مركز القيادة وجدت فى حجرة القواد ضجيجاً وشوشرة وأصواتا مرتفعة فأنصت لتلك الضوضاء لأتبين الأمر قبل مفاجأتى لهم فسمعت أصواتاً تقول : العدالة كانت تحتم على هـــذا الوزير أن يرفه على الجنود بشىء معقول لا أن يوزع بالأكوام وعليكم بالصناديق مما لاشك فيه أنه أصبح من المسير أن تنفذ الجنود أمراً لنا أو تقدر كرامتنا مادام الوزير ميلود قد أوسع صدره لهم إلى هذا الحد ثم يفهمهم أنه لافرق بينهم وبين رؤسائهم وأمرهم بالاتجاه له شخصياً دون سواه لرفع شكواهم فى أى رئيس يملى عليهم إرادته فيرد عليهم القـــواد الأربعة الذين رافقوه بأن هذه هى العدالة بعينها ويهددونهم بأنهم إذا تمادوا فى هذا سيخطرون عنهم وزير الملك لتوقيع العقاب عليهم فدخلت عليهم يامولاى وطلبت منهم جميعـــاً إطلاعى على الخبر فعلمت أن الوزير كان يختم مروره بعد الطواف بالشعب على الجنود ويوزع عليهم الأموال الباهظة وكذلك على القواد الأربعة المرافقين ثم يغريهم بكلامه الخداع بأنه مثلهم لافرق وأنه خادمهم الأمين وينبه عليهم بعدم إخبارى كى لا أوقع عليهم جزاء إذا علمت بالأمر .

فطفت يا مولاى بالجنود لأحقق بنفسى الموضوع فوجدت إجابة جميع الجنود واحدة فاستحضرت القواد الأربعة الذين كانوا يرافقونه معى وهم بالباب رهن إشارة مولاى فى طلبهم .

كل هذا الحديث والملك وجلساؤه فى غاية الحسرة والألم .

الملك يأمر باستدعاء القواد الأربعة فيحضرون بين يديه ويؤدون التحيـــة ثم ينظرون إلى الوزير فيجدونه فى حالة اضطراب ويرمقون بأعينهم فيرون الملك فى حالة تأثر شديد فيسألهم الملك :

ما الذى نلتموه من الأموال التى وزعها عليكم الوزير . إن لم تجيبونى بصدق فسآمر بإعدامكم أيها الخونة ؟ .

القواد : يجيبون وهم فى خوف شديد ، نلنا كما ينال أى فرد من أفراد الشعب أو أحد الجنود .

الملك: هل كان الوزير يفهم الشعب أو الجنود أن انفاق هذه الأموال بناء على أمرنا للترفيه عنهم .

القواد : نعم يامولانا وهذا الجواب كان بصوت خافت يفهم منه الكذب .

الملك يأمر باحضار قواد الجيش جميعاً لسؤالهم فيحضرون ويتمثلون بين يديه فيؤدون التحية ويسألهم الملك :

هل نالكم ما نال هؤلاء القواد من أموال وما عددها ؟

القواد : لم ينلنا شيء يامولانا لأن علينا واجبا نحو قائدنا الأعلى وهو فداء أرواحنا من أجله دون انتظار شيء ما وفعلا عرض الوزير علينا فاعتذرنا .

الملك : هل كان هذا الوزير وقت توزيعه الأموال يفهم الجنود أن الملك أرسله لتوزيعها للترفيه عنهم !

القواد : نصارح مولانا ونرجوكم حمانا .

الملك : وهل عندكم شك فى هذا ؟

القواد : لا ولو متنا فى سبيل مولانا فهو غرضنا الأسمى وصاروا يذكرون للملك أفعال الوزير واغراءه وقواده الأربعة للجنود .

الملك للوزير : سمعت أيها الوزير الخئون وعرفت أن غرضك سيء وأن الغرور قد عمك وهيأت لك نفسك الخبيثة خيانتنا ونحن الذين رفعناك إلى هذه المنزلة وكنت أشفق عليك بحنان طبيعى لا كلفة فيه وأعطف عليك كثيراً أكثر من عطف أب على ولد وحيد ولكن اتق شر من أحسنت إليه .

الكل يبكون . وأصوات يعدم يا مولاى ، أصوات أخرى يسجن يا مولاى ثم يشير إليهم الملك بالسكوت ويلتفت إليه ويعدد له جميع أحواله ومساوئه ثم ينطق أخيراً ويقول

واليوم اخرج من ديوانا أيها الخائن الأثيم خروجاً لارجوع بعده أبداً وعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . والقواد الأربعة الذين ثبت كذبهم ودفاعهم عن ذلك الوغد المجرم يضربون بالسوط ثلاثين ويطردون بعد ذلك من أعمالهم ثم يلتفت الملك إلى كبير الجلساء ويوجه إليه الحديث الآتى :

قم ياوردان لمباشرة طرد الوزير وتنفيذ العقاب على القواد الأربعة وطردهم وعد إلىّ سريعاً حيث لدىّ أمر سيصدر لكم حالا :

وردان بن صعيب . سمعاً وطاعة يامولاى أعزكم الله — وبراقب تنفيذ طرد الوزير وجلد القواد وطردهم ويعود الملك قائلا انتهى الأمر يامولاى .

الملك : حمدا لله الذي أنقذنا من هذا الجرثومة وقد رأيت أن فى هذا الكفاية بدلا من سجنه أو إعدامه نظراً لخدمات المرحوم والده وحفظاً مما عسى أن يحدث من اضطرابات وفتن . أهلا كذلك ؟

وردان بن صعيب والقائد العام وبعض المجلساء : أمركم يا مولانا وأحسنت فى الرأى وإنا جميعاً بريئون منهم إلى يوم الدين ثم يلتفتون إلى بقيتهم ويقولون أليس كذلك ؟ فيجيبون (نعم) .

الملك : والآن رأيت أن أسند منصب ذلك الأثيم إلى رجل من خيرة رجالنا وأظنكم جميعاً تزكونه وهو وردان بن صعيب . ألستم موافقين ؟

المجلس بأصوات مرتفعة . موافقون موافقون يامولانا . أنعم به وأكرم .

وردان بن صعيب يقوم لتقبيل يدى الملك حمداً وشكراً ويعاهده على أن يوفقه الله لأن يمثل الخادم الأمين ويعود إلى مكانه .

أعضاء المجلس يتقدمون لوردان ويهنئونه .

الملك : وعندى رأى سأتشاور معكم فيه بعد أيام قليلة فى شأن كبير المجلساء الجديد وهو سيكون أقدمكم ثم إحلال هذا القائد العام الأمين محله .

القائد العام : يتقدم مقبلا يدى الملك الكريمتين ويؤدى فروض الشكر ويجدد العهد بالولاء ثم يبتهل الكل إلى الله أن يحفظ كعبة آمالهم وأن يبارك لهم فى حياته

الملك : هيا بنا والانصراف فقد سرقنا الوقت وأصبحنا الساعة بعد منتصف الليل ثم يلتفت إلى وزيره الجديد مبتسماً وله يقول . عليك باكر بإذنه تعالى إرسال المنادين لإعلام الشعب بمنصبكم الجديد لظروف داعية الى ذلك وعلى أن تأمرهم بأخذ حذرهم من الإدلاء بأية معلومات خاصة عن ميلود الآن إلا بعد هدوء الحالة تماما واطمئنان الشعب وهذا يتطلب أسابيع وبعد ذلك نخطر الشعب بمساوئه حتى يكون على بينة من أمره

الوزير الجديد وبعض الجماعة : نعم يامولانا وهذا ما كان فى نيتنا وكنا نتحدث الساعة فيه سوياً وفى عزمنا إخبار جلالتكم الساعة به.ثم ينصرف الملك إلى بيته بعد أن يحييهم وينصرف الجمع كل إلى بيته وهم يهنىء بعضهم بعضا بانقضاء أيام ذلك الطاغية .

« نبذة قبل ذكر الحادث الأليم »

انصرف الوزير مطروداً من مركزه وقد أحاط الشر به من كل ناحية وانتظر قواده الأربعة لحين خروجهم بعد جلدهم ووقف يفكر فى ضرورة تدبير المؤامرة الليلة قبل مطلع الفجر وهى مؤامرة الخيانة العظمى ، خيانة عرش الملك اصفهان العادل وقد وقف يقول فى نفسه . لابد من قتل أصفهان الليلة ولتعود النتيجة إلى ما تؤدى ، منصبنا وضاع منا ، والشعب لابد من عليه بما حدث لى من أصفهان وبهذا سأكون منبوذاً من الشعب أيضاً وأصبحت الحياة بهذه الحالة لافائدة فيها ، فإما أن نحيا حياة سعيدة كريمة وإما أن نموت وهو خير من بقائنا بهذه الحالة .

وبينما هو واقف كذلك وإذا بالقواد خارجين وهم فى أشد حالات الألم الذى ألم بهم من الأذى الذى حاق بهم جزاء عدم ثباتهم على مبادئهم ووفائهم لمليكهم فقال لهم ميلود .

لا تحزنوا ولا تتأثروا فالله معنا وسينصرنا الليلة بمشيئته على الملك الظالم وحجبه الأشرار وهم حاشية السوء . فهيا بنا إلى منزلنا نتشاور فى الأمر قليلا .

ذهب ميلود إلى بيته ومعه القواد الأربعة ودخلوا فى حجرة خاصة وأحكموا قفلها وإذا به يقول لهم :

ما الرأى الساعة وقد طردنا الملك جميعاً وسيعلم الشعب بعد ذلك بحالاتنا وتكون آنئذ من المنبوذين المحرومين حتى من رضاء أقل فرد من أفراد الشعب ؟

فقالوا وما العمل ؟

قال أرى وقد انصرف كل إلى بيته أن نتوجه جميعاً إلى قيادة الجيش ونوقظهم من نومهم حيث لم يصل إلى علمهم أى شىء من هذا الآن مطلقاً ثم نفهمهم أن الملك قد ظلمنا الليلة وأهاننا بسببهم وقرر طردنا من ديوانه بعد أن أمر بضربنا ضرباً مبرحاً وقد التجأنا اليكم الساعة وأصبح لا ملجأ لنا بعد الله سواكم . فهل لكم وقد عهدنا فيكم أنكم رجال

تقدرون الأمور حق قدرها وتميزون بين الظالم والعادل وأن تساعدونا الليلة بالهجوم على قصر ذلك الملك الظالم لطرده من البلاد والمناداة بى ملكا على هذه البلاد واعتقدوا تماماً أن النصر عليكم، وجزاؤكم منى كل إحسان وتقدير بعد تثبيت أقدامى على هذه المملكة .

قالت الفواد . ولكن هذه مجازفة شديدة ياسيدى ربما تؤدى نتيجتها إلى إعدامنا جميعا ميلود . هل الأوفق أن نجازف هذه المجازفة حتى إذا صحت ظننا أرقى درجات المجد أم نهمل فى كرامتنا حتى نصبح لا نساوى أقل فرد من أفراد الرعية ؟ ثم سكت قليلا وقال .

من المعقول جداً أن يلى الجيش نداءنا لأننا أكرمناه غاية الإكرام وسوف لايحدث بعد ذلك اضطرابات تذكر فى الدولة لأن الأمة أصبحت مقسمة إلى ثلاث فرق ، فريق معنا ويغلب على ظنى أنه كثير جداً ، وآخر مع الملك ، والثالث على الحياد فما رأيكم ؟

الفواد . مادام هذا رأيك فنحن وأنت على الخير والشر سواء .

ميلود . جزاكم الله خيراً . هيا بنا . وخرجوا جميعا من بيت ميلود ووجهتهم فى ظلمة الليل قيادة الجيش .

انقلاب خطير فى دولة الملك أصفهان العادل

سبحانك ياربّ الوجود ويامقدر الأقدار ويامن بيدك الخير وأنت على كل شئ قدير .

سبحانك يا من قدرت على هذا الملك الابتعاد عن ملكه مدة من الزمن ليرتفع درجات ويزداد علواً وتكون له مكانة فى الشعب أعلى من مكانته ودرجة أرفع من درجته ويظل كذلك إلى انتهاء أجله وهو موفور الكرامة مرفوع الجناب .

وسبحانك ياممن قدرت على هذا الشعب العقاب مدة من الزمن لتفضيله عدداً كثيراً منه ميلود على الملك الذى لم يظلم أحداً منه وذلك لتطهير الشعب تطهيراً تاما كى لاتغره الحياة الدنيا مرة ثانية بمثل ماغرته من خداع كاذب سيعود عليه بأوخم النتائج .

وسبحانك يامن تضع الأشياء فى مواضعها فأمهلت الوزير الخائن حتى اغتصب الملك اغتصابا ثم أخذته بعد ذلك بقوتك أخذ عزيز مقتدر وأذقته من غضبك ماناله من عذاب شديد من الأمة التى أسقطته عن العرش المغتصب وسلمته لصاحبه الذى دعته إليه وهى خاضعة ذليلة بعد عرفان فضله وإحسانه ولمثل هذا الخائن عندك ياألله الفضيحة فى الآخرة والخلود فى الجحيم .

نعود بعد ذلك إلى عصبة الخونة الأشرار فقد توجهت تلك العصبة إلى مكان قيادة الجيش وطاف القواد بثكنات الجيش لإيقاظ النائمين ولتنظيم المستيقظين لمقابلة الوزير ميلود .

فسرعان ما صحا النائم وانتظم الصاحى ووقفوا صفوفاً وإذا بميلود يحضر إليهم فيصفقون لاستقباله ويهتف أحدهم فيأمره بالسكوت وإذا بميلود يرتجل لهم خطابا حماسياً مؤثراً مملوءاً بالافتراءات والأكاذيب والاختلاقات على الملك وأبان لهم فيه تفصيلات مايرغب وما يرجو نظراً لما ناله والقواد من إهانة شديدة وطرد نهائى . ثم ختم حديثه بأنه ورفاقه الإخوان الأوفياء لهم والخدم المخلصين لأقل واحد منهم وأنه أى ميلود الملك الشفيق العادل سيبذل النفس والنفيس فى سبيل إسعادهم ثم قال لهم فما رأيكم ؟ .

قالوا جميعاً نحن معك إلى النهاية .

قال أتعاهدون الله على ذلك .

قالوا نعاهده على أننا فداء لك وسنحارب إلى آخر لحظة من حياتنا حتى نجلس على كرسى عرش أصفهان الظالم .

قال ميلود . إذاً نظام هجومكم كالآتى :

توجهوا إلى المدينة وطوفوا بها منادين فى ملكنا وذلك بعد أن تبدءوا هجومكم أولا على القواد الموجودين هنا واقتلوهم جميعاً ثم تتوجهون بعد ذلك إلى قصر الملك هاجمين عليه وقاتلين كل من قابلكم حتى ولو أصفهان نفسه ونادوا بى ملكا وأجلسونى على أريكة الملك وإذا تم هذا ونصرنا الله وتحقق ذلك فسيكون واحد من هؤلاء القواد وزيراً لى والثلاثة من أعضاء مجلسنا الذى سنكونه قريبا إن شاء الله أما أنتم فسترفع أجوركم

أضعاف أضعاف ما تقاتلون الآن فتوكلوا على الله بثبات جأش وشجاعة وإقدام كما أعهد فيكم والله ناصركم بإذنه تعالى .

نادى الجيش بميلود ملكا عليه وهجم على القواد الموجودين بالثكنات فقتلهم ثم فتحت الأبواب وخرجت وحدات الجيش هاتفة منادية بميلود ملكا وطافت بالمدينة فهب الأهالى من نومهم مذعورين وهرول بعض خدم قصر الملك أصفهان الذين يبيتون خارج القصر إلى الملك لإبلاغه الخبر وأن الحالة أصبحت سيئة جداً وأن بعضا من أفراد الشعب انضم مع الجيش هاتفا وهم عدد قليل ومنهم من أبى وهتف بسقوط ميلود وهم عدد غير قليل وبذلك دارت معارك بين الجيش والأهالى كان النصر فيها للجيش وأرغم الأهالى فيها على الاستسلام ثم توجهت جموع الجيش بعد ذلك قاصدة قصر الملك حتى دنت منه فحدث تصادم بين حرس القصر والجيش استعملت فيها الحروب والسيوف والخناجر ونظر الملك من نافذة حجرته فوجد أن قضاء الله المقدر لابد من نفاذه وأنه لابد من رحيله وإلا فستكون النتيجة قتله أو إعدامه فأسرع بالذهاب إلى عائلته وأمرهم بتجهيز ملابسهم وملابسه والاستعداد للرحيل ثم أمر بعض الخدم بالتوجه إلى بيوت جلسائه وقائد عام الجيش وتكليفهم أيضاً بتجهيز أنفسهم وعائلاتهم ومتاعهم ومقابلته من الباب السرى كما كلف بعض الخدم الآخرين بالتوجه لأمين بيت المال لإخراج صناديق أموال من الخزائن على قدر الاستطاعة.خرج الخدم من الباب السرى مسرعين وقد طرقوا أبواب بيوت الجلساء وأوصلوا لهم رسالة الملك الشفوية ثم توجهوا إلى بيت القائد العام ثم إلى بيت أمين المال وأفهموه الحالة ورجوا منه الحضور سريعا فسدع بالأمر وابس وتوجه لساعته إلى قصر الملك وقابل الملك وهو فى حالة يرثى لها فقال له الملك حمل الخدم مايستطيعون حمله من الأموال وأسرعوا أسرعوا حيث قربت ساعة الخطر .

فقال أمين بيت المال . من كان يظن أن هذا الوزير يخون الملك اصفهان ؟ هو قضاء الله وقدره والحمد لله .

ثم يلتفت الخدم ويقول كيف هذا يامولانا أهل هذا جزاؤك من الوزير ؟

الملك أصفهان : هو قضاء الله وقدره والحمد لله .

الملك أصفهان يسرع إلى النافذة المطلة على فناء القصر فيرى أن الجيش قد هزم الحرس وقتل منهم الكثير واقتحم الأبواب ودخل الفناء وهو ماض فى سيره يقتل

من صادفه فنظر إلى خدمه وقد بلغ به الأثر أشده فقال لهم .

وداعا أيها الخدم . وداعا أيها الرجال المخلصون . ارحلوا إلى أى مكان أمين ومن يرغب منكم الرحيل معنا فعلى الرحب والسعة هيا بنا

ثم توجه وعائلته وكثيرا معه من الحرس والخدم قاصدا الباب السرى حتى إذا ماوصلوا اليه وجدوا وزيره الجديد وردان بن صعيب الذى لم يهنأ يوما واحدا بمنصبه الجديد ولكن إن نصر الله قريب .

كما ووجدوا يحيى بن مذكور واسماعيل بن ابراهيم وموسى بن فوزان فى انتظاره فنظر إليهم وقد عم الجميع حزن شامل وأثر بالغ . هيا بنا يارجالنا . وأين خليل بن اسحق وعمر بن اليزيد ويوسف بن شعيب؟ فأجابه وردان بن صعيب وقال له لقد قتلوا جميعاً بعائلاتهم وأبنائهم فى المعركة ماعدا زوجة يوسف بن شعيب حيث تمكنت من الهرب

فقال الملك : هيا بنا والحمد لله على كل حال .

فركبوا الجمال وتوجهوا من طريق مختصر قاصدين الجبال يتصادف فى الوقت الذى مشى فيه ركاب الملك وحاشيته أن يكون هو الوقت الذى وصل الجيش فيه إلى الطابق العلوى حيث قاعة العرش والمناداة بميلود ملكا ولم يكن فى ذاك الوقت من الخدم أحد حيث رافق الملك اصفهان من رافق وهرب من هرب وقتل من قتل .

ثم أجلس الجنود ميلود على العرش وظلوا ينادون به ملكا ويهتفون بحياته ويصفقون وقد غص القصر فى هذه الآونة بآلاف الجنود وكثير من أهالى المدينة وبقيت الهتافات تدوى حتى قام الملك الجديد وحوله القواد الأربعة المعروفون معه وتوجهوا إلى الشرفة المطلة على الشعب وارتجل الملك المزيف خطابا حماسيا كاذبا استمر أربع ساعات أفهم الشعب فيه أنه صبر على الملك السابق كثيراً فى ظلمه له ورغبته فى فى ظلم الشعب لولا أنه كان يعارضه دواما حيث إنه كان يرغب العمل على إلغاء الأموال المخصصة للفقراء وعدم مقابلة أى مظلوم ورفع الجزية السنوية أضعاف ماهى عليه وتخصيص ضريبة مرتفعة جداً على أغنياء البلد فنشأ الخلاف بينى وبينه من هذه الناحية واستمر الخلاف كذلك حتى علم أنه عند طوافى أوزع أموالا على الفقراء من

الشعب المحتاجين فزاد الخلاف وحدثت أزمة بلغت حدها الأقصى فقرر هو ومجلسه طردى وهؤلاء القواد الأربعة المخلصين بعد اهانتنا وضربنا بالأمس ضربا مبرحا الأمر الذى جعلنا ننقذ أنفسنا وننقذكم جميعا معنا أيتها الأمة البريئة . فما رأيكم ؟ أتقبلون أن أكون ملكا عليكم وإننى أعاهد الله رب زمزم والحطيم أننى أسير بسير الملوك الصالحين العادلين الذين لا يفرقون بين أنفسهم وأقل فرد من رعيتهم ؟ فرد كثير من الواقفين وقالوا له ألا خسئت أيها الخئون . ليسقط ميلود الخائن . ليسقط الملك المزيف وظلوا يهتفون كذلك حتى أمر ميلود بتشتيت الأهالى وتفريقهم بالقوة فعادت المعارك الدامية ثانية فارتطم الجيش بالأهالى ومكث الأهالى يدافعون بصدورهم وبعض أسلحتهم ويقذفون بالحجارة الجيش،والجيش بسيوفه وحرابه واستمروا على ذلك فى حرب أهلية داخلية أسبوعا انتصر الجيش فيها على الأهالى وقتل من قتل وذبح من ذبح ولم يجد الأهالى بعد هذا كله سوى السكوت والتزام الصمت والسكينة وقد حمل الملك المزيف فى نفسه من الأهالى الشىء الكثير .

توطيد ملك الملك المزيف

انتهى الأمر بتوطيد الملك لميلود ظلما واستولى على عرش أصفهان العادل قوة وعدوانا وأغلبية الأمة لم تحمل له سوى البغض والعدوان وأسوأ الذكريات .

حالة الملك أصفهان ورفاقه بعد رحيله

قصد الملك أصفهان ورفاقه الجبال حتى وصلوها ومشوا فيها بجمالهم أياما حتى وصلوا إلى مكان فسيح يقيم فيه جماعة من العرب بخيامهم ودورهم فقام جماعة من رجالهم لاستقبالهم فقالوا لهم أين المقصد ياعرب ؟

فقال الملك أصفهان . من أنتم ؟

قالوا نحن بعض من رجال هذه القبيلة .

قال الملك أصفهان وأين شيخكم ؟

فقالوا فى بيته مشيرين إلى دار كبيرة أنيقة

قال الملك أيمكنكم أن تنادوا لى به .

قالوا نعم وتوجه اثنان منهم إلى دار الشيخ لمناداته .

جاء شيخ القبيلة وصافح الملك وجميع رجاله .

فقال الملك أأنت شيخ القبيلة والحاكم عليها ؟

قال الشيخ . نعم ياسيدى

قال الملك . هل لديك مكان أمين تأوينا فيه وعائلاتنا يومين أو ثلاثة للاستراحة من عناء السفر ثم نتوجه بعد ذلك إلى حيث يشاء الله

شيخ القبيلة . هل أنتم من الرجال الفارين من مدينة الملك اصفهان العـــادل فى المعركة الماضية من أيام قليلة .

الملك أصفهان . أو هل بلغكم ماحدث فى مدينة الملك أصفهان بهذه السرعة ؟

شيخ القبيلة . بلغنا أول أمس من رجلين من قبيلتنا حضرا من الطريق الآخر .

الملك أصفهان . نعم يارجل نحن من الرجال الهاربين من مدينة الملك أصفهان وأنا الملك أصفهان وهؤلاء رجال حاشيتنا خرجنا بعائلاتنا قاصدين مكانا أمينا نلجأ اليه حتى يهيء لنا ربنا من أمرنا رشداً .

شيخ القبيلة . عفوا يامولاى ، عفوا يامولاى ، لاتؤاخذونني أن اشتبه فى جلالتكم غاية ماهنالك تغيير الزى خانني ، أهلا وسهلا ومرحبا بك ياسيد الرجال ، أهلا وسهلا ومرحبا بك ياملكينا الهمام وبرجالكم المخلصين الأوفياء وبعائلاتكم الشريفة النبيلة تفضلوا يامولانا ، ثم يلتفت شيخ القبيلة لأحد رجاله ويقول اخبر الحى يارجل لاستقبال ملك البلاد ورجاله .

أهالى الحى رجالا ونساء يهرولون مسرعين يهللون ويهتفون والنساء يزغردن فرحا وسروراً ثم أمر شيخ القبيلة باناخة جمال الضيوف وإراحتها من عناء التعب وحمل مابها من متاع إلى دار شيخ القبيلة وهى الدار التى أصبحت ملكا لهؤلاء الضيوف الكرام .

توجه الملك ورجاله إلى منزل شيخ القبيلة وبعد أن جلسوا قليلا قال الملك ياشيخ القبيلة .

شيخ القبيلة . نعم يامولاى

الملك أصفهان . ما اسم هذه القبيلة ؟

شيخ القبيلة . قبيلة بنى الحارث

الملك أصفهان . وما اسمك انت ؟

شيخ القبيلة . الخادم الأمين لذاتكم رجاء بن سويلم

الملك أصفهان ! أنعم بك وأكرم

شيخ القبيلة . والله يامولاى لاأستطيع أن أعبر عن مدى سعدى وسرورى وفرحى وحبورى وسعد هذا الحى بل وفرح أرض الحى التى ستظل تفتخر بها على جاراتها إلى يوم القيامة ووالله يامولاى لو أردت أن أصف غبطتى اليوم ثم نطق الرجل قائلا بصوت مرتفع ملك البلاد يشرفنى ! ملك البلاد يضيفنى امام هذا السعد يارب العالمين ويا أكرم الأكرمين اسمحوا لى يامولاى أن أسجد لربى شاكراً فأذن له الملك فسجد لربه ولسانه يلهج بالحمد لهذا الفخر العظيم .

الملك أصفهان . ياشيخ رجاء . لى رجاء عندك بسيط .

الشيخ رجاء . مر يامولاى فأنا وبيتى وقبيلتى فداء لك ورجالك المخلصين .

الملك : أرجو أن تنبه على رجال قبيلتك ونسائهم وأولادهم جميعاً بألا يعلموا مخلوقا بوجودنا هنا فى المدة التى سنقيمها طرفكم ولك منى ومن عائلتى ورجالى جميعا وعائلاتهم خالص شكرنا .

الشيخ رجاء : لك منى يامولاى هذا وسأقوم الساعة بالتنبيه على الجميع إلا أن لى رجاء أيضاً .

الملك : تفضل ياشيخ القبيلة .

الشيخ رجاء : يتقدم لتقبيل قدمى الملك بالقوة ثم يديه ويتكلم باكيا ويقول أرجو يامولاى أن تكون اقامة جلالتكم هنا وصحبكم وعائلاتكم جميعاً بصفة دائمة بحيث إذا علم بذلك مخلوق غير قبيلتنا أكون أنا المسئول أمام مولاى . كما وأرجو أن تجعلونى وأولادى وجميع سكان هذا الحى خدماً لكم أمناء أوفياء تتصرفون فينا كيفما شئتم .

الملك يلتفت إلى صحبه ويقول لهم مارأيكم يارجالنا ؟

موسى بن فوزان : يتقدم إلى الملك . أرى يامولاى فى وجه هذا الرجل الإخلاص وأرى بدلا من سيرنا بين الجبال والوهاد أياما وأسابيع حتى نصل إلى ملك بغداد ونختمى فيه أن نقيم هنا حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا

وردان بن صحيب : لامانع يامولاى على شرط أن يشرع فى بناء مغارة صغيرة فى الجبل تسعنا وتسع عائلاتنا إذا مافوجئنا بوصول جواسيس إلى هـــذا المكان للبحث علينا . ثم يلتفت إلى بقية الصحب ويقول أليس كذلك يارفاق ؟ فيجيبون جميعهم بالإيجاب .

الملك أصفهان : نوافق ياشيخ رجاء على هذا وعندك صناديق الأموال هذه إحفظها لديك لتنفق منها جميعاً .

الشيخ رجاء : ألتمس من مولاى أن تبقى الصناديق على حالتها لاتمس أبداً .

الملك أصفهان : لا ورب زمزم والحطيم لابد من قبولها .

الشيخ رجاء : سمعا وطاعة يامولاى .

الشيخ رجاء : هذه الدار ارجو اعتبارها ملكا لجلالتكم وسنشرع فى بناء خمسة دور باكر أربع لرفاق جلالتكم وعائلاتهم والخامسة للخدم بعائلاتهم أما أنا فستكون إقامتى من الآن فى دارى الثانية واستحلف جلالتكم برب زمزم والحطيم أن تتفضلوا بقبول ملتمسى .

الملك أصفهان ورجاله يجيبون رجاءه ويشكرونه .

الشيخ رجاء يستأذن لحظة فيؤذن له فيخرج خارج الدار يفرق الجمع الحاشـــد ويأمرهم بالذهاب إلى خيامهم ودورهم لاستدعاء جميع رجال ونساء وأولاد وبنات الحى الموجودين لإلقاء أمر هام على مسامعهم .

حضر أهل الحى جميعاً وكان يبلغ عددهم اثنى عشر ألف نسمة فاستدعى شيخ القبيلة منهم طائفة طائفة وأفهمهم الأمر وشدد عليهم فى عدم إعلام أى فرد من خارج القبيلة بوجود الملك ورجاله فى هذا الحى وهدد من يفشى السر بالقتل السريع ثم يكلف رجاله بعد ذلك وبعد أن أمرهم بالانصراف بنحر الذبائح حالا وإحضار الطعام لأكرم ضيف فى بلاد اليمن ورجاله المخلصين .

يحضر الشيخ رجاء فيؤذن له بالجلوس فيجلس بكل أدب وخشوع لايتكلم إلا إذا

سئل وإذا تكلم فإنما يتكلم بكل خجل ، ثم يدعوه الملك أصفهان للجلوس بجواره ويتبسط معه فى الحديث ليخفف عنه شيئا من الخجل . الأسمطة تحضر وعليها من أصناف اللحوم وألوان الطعام الشيء الكثير ثم أسمطة أخرى تحملها نساء الشيخ رجاء وأزواج أبنائه إلى حيث مكان العائلة المالكة وعائلات الحاشية الملكية.

ثم أسمطة كذلك للخدم المرافقين للملك الذى خصص لهم مكان وسط الخيام الموجودة بالحى سريعاً .

الشيخ رجاء ، تفضلوا ياصاحب الجلالة ، تفضلوا يامن سجلتم لهذا الحى أحسن الذكريات إلى يوم لقاء رب الكائنات .

الملك : تفضلوا ياإخوان إجلس معنا ياشيخ رجاء .

الملك أصفهان يتحدث حديث الطعام .

إن تقديراً إلهيا سجل علينا فى الأزل لانرضى به ولا نقابله بالاستسلام لانكون من المؤمنين حقا ومالنا إذا مكثنا فى هذا الحى الأمين مع هذا الشيخ ورجاله المخلصين حتى نلاقى الله رب العالمين . ونحن لقضائه وقدره راضون ومستبشرون.

ثم يلتفت إلى وزيره وردان بن صعيب ويقول

هل إذا خيرت ياوردان بين هذين الأمرين فأيهما تفضل أن تملك الدنيا بأسرها ألفا من السنين ثم تموت مغضوبا عليك من الله ومحشورا مع الكافرين أو أن تعذب فى الدنيا العذاب الأليم وتمكث على ذلك ثلاثة آلاف من السنين ثم تموت بعد ذلك وربك راض عنك ويحشرك فى الآخرة مع الأنبياء والمرسلين فأى الأمرين تفضل ؟

وردان بن صعيب واثنان من الجالسين : نفضل يامولانا أن نذوق مر العذاب عشرات آلاف السنين ونموت وربنا عنا راض .

الملك أصفهان : أهكذا ياشيخ رجاء ؟

الشيخ رجاء : نعم يامولاى وإنك ورجالك لمن الصابرين وسيحشركم الله فى زمرة الأنبياء والمرسلين .

الملك أصفهان يظل يتحدث معهم بأحسن الكلم والمواعظ ترويحا لنفوسهم حتى ينتهوا من الأكل ويشربوا مالذ وطاب من أنواع المشروبات .

الملك أصفهان : ياشيخ رجاء لم لم تسألنا عما حدث لنا وعن الداعى لهروبنا ؟

الشيخ رجاء : يبكى بكاء شديداً وكثير من رفاق الملك يبكون .

الملك أصفهان يتكلم بشدة : لا لا يارجال هذه أمور لاتكسبنا سوى سخط الله وغضبه لأن هذا علامة على عدم الرضا بما قدره الله علينا .

وزير الملك وموسى بن فوزان : يامولانا أعزك الله وأعاد لك ملكك نحن لانبكى لما قدره الله علينا . كلا ! فما بجله الله علينا وما أراده وما يريده لنا فعلى الرأس والعين وانما بكاؤنا لخيانة من أحسنتم اليه وأساء وأكرمتموه ورفعتموه إلى هذه المنزلة التى جعلته يتبجح على سيده ويخونه .

الشيخ رجاء : والله يامولاى إن بكائى أيضاً لهذا السبب ثم أجيب على سؤال جلالتكم فأقول هل يليق بخادم صغير مثلى أن يسأل سيده ومولاه عن سبب رحيله من مدينته وخروجه فى الجبال تاركا أريكة عرشه ورجاله معه أنا لم أصل إلى هذه المنزلة يامولاى .

الملك أصفهان : أنت علمت من الرجلين اللذين حضرا من المدينة من يومين بخلاصة ماجرى وهو خيانة الوزير ميلود وخداعه للجنود حتى اتفق معهم على خيانتى ظلما والاستيلاء على عرشى اغتصابا أليس كذلك ؟

الشيخ رجاء : نعم يامولاى .

الملك أصفهان : إذا سأخبرك بقصة هذا الوزير وتاريخ حياته وما فعله معنا واساءاته التى قدمها لنا وكانت آخر إساءة منه هى الاستيلاء على ملكنا بالقوة .

الشيخ رجاء : تفضل يامولاى .

الملك أصفهان يشرح الحالة وظل يعدد له أحوال الوزير ميلود بعد أن أفهمه أنه لم يسند اليه منصب كهذا إلا إكراما لخدمات المرحوم والده قائد عام الجيوش حتى انتهى من حديثه والكل منصتون والحسرة والألم قد بلغتا أشدهما بهم .

الشيخ رجاء ـ هل تأذنون لى أن أتكلم يامولاى ؟

الملك أصفهان ـ تكلم ياشيخ رجاء ماشئت.

الشيخ رجاء ـ أرجو يامولاى أن تعتبروا جلالتكم وصحبكم فى رحلة خارج البلاد وثقوا يامولاى أنكم ستعودون إلى ملككم لامحالة .

الملك أصفهان ـ كيف جزمت بهذا ياشيخ رجاء ؟

الشيخ رجاء . جزمت يامولاى وإذا تحقق لكم هـــذا الخبر أرجو أن تجعلونى خادما من خدم قصركم أو حاجبا من حجابكم .

الملك أصفهان ـ إذا تحقق هذا ياشيخ رجاء فستكون بإذن الله فى مكانة عالية جداً

الشيخ رجاء ـ كيف لايتحقق هذا يامولاى وقد عدلت عدل الأنبياء والمرسلين ولم يسبق أن تولى ملك على أمة وعدل كما عدلت وأحسن كما أحسنت إلا حصل له الظفر والنصر . فالشعب لايمكن أن يرى أياما كأيامك ومثل هذا اللئيم الخئون الملك المزيف صاحب النفسية الخبيثة التى أدته لخيانة سيده ورب نعمتـــه سيظلم ويستبد وسيكون مآله القتل قريبا . ثم نرجع إلى توصيات الخليل إبراهيم عليه السلام نبى الله ورسوله حيث أبان أن النصر للمؤمنين الصابرين وأن الظالمين لهم الخزى والوبال فى الدنيا ، وفى الآخرة لهم العذاب الأكبر . ثم يامولاى أنا لاأرى مانعاً مطلقاً بعد أن تستتب الأمور فى البلاد ويطمئن ذلك الملك المزيف أن نجهز جيشا جراراً يوازى عدده عدد الآخر ونهجم على المدينة نهاراً وسيكون أغلبية الشعب معنا وسينصرنا الله بإذنه تعالى . وبعد النصر لايقتل ذلك المبلود أبداً وانما يكتف بسلاسل من حديد ويطوف بأنحاء المدينة كلها ليروه بحالته المزرية ثم يعلق من أقدامه على باب القصر شهراً يحضر فى خلاله أهالى أنحاء المملكة لرؤيته ويحدد بعد ذلك يوما لحرقه جزاء خيانته .

الملك أصفهان والمجلس يعجبون بذلك الشيخ الوفى ثم يقـــول الملك للشيخ رجاء طمأنك الله أيها الشيخ كما طمأنتنا أأنت من العلماء؟

الشيخ رجاء ـ نعم يامولاى .

الملك أصفهان ـ فتح الله عليك فتوح العارفين بالله وقد آن وقت النوم فأذن لنا نريح أجسامنا .

الشيخ رجاء ـ القاعات مجهزة يامولاى ، جلالتكم وعائلتكم الكريمة مجهز لكم فراشكم والصحب الكرام كل مجهز له وعائلته فراشه .

الجمع يقوم كل إلى مرقده والشيخ رجاء يستأذن ويأمر عشرين من رجال الحى يحرسون الدار واقفين طول ليلهم بسيوفهم ثم ينادى كثيراً من رجال الحى ويبدءون

عملية بناء المنازل اللازمة لوزير الملك ورجاله وخدمه ويظل هو ملازمهم حتى مشرق الشمس فيغلب عليه النعاس فيتوجه إلى بيته للنوم .

الملك أصفهان ورجاله يستيقظون من نومهم ويذهبون للمكان الخاص بجلوسهم ثم يسأل الملك عن شيخ القبيلة فيهرول أحد الخدم لمناداته فى بيته فيهب الشيخ رجاء من نومه مسرعا إلى حيث مجلس الملك فيطرق الباب فيؤذن له فيتقدم حتى الملك مقبلا يديه الكريمتين ويصافح بقية أعضاء المجلس ثم يلتمس من مولاه الملك قبول العذر فى تأخيره عن قيامه مبكراً بسبب ذهابه إلى بيته بعد شروق الشمس .

وزير الملك أصفهان . ماالسبب سيدى الأخ فى هذا ؟

الملك أصفهان . هل حدث الليلة حادث لكم ؟

موسى بن فوزان . هل حضر من المدينة أحد للبحث علينا ؟

الشيخ رجاء . لامعاذ الله ولو حصل يامولاى يكون الحى رجاله ونساؤه فداء . ولكن بعد أن توجهتم جلالتكم وصحبكم الكرام إلى قاعات نومكم التى تسجل لها أحسن الفخار استحضرت عددا من رجال الحى للبدء فى بناء المنازل الجديدة ليلا وراقبتهم حتى مطلع الشمس وكان يأتينى النوم وأنا واقف بينهم حيث خشيت أن أتوجه إلى البيت للنوم يخلق طائر الكرى على أجفان الرجال فيناموا .

الملك أصفهان . شكراً لك ياشيخ رجاء على هذه الهمة الكريمة وفقنا الله لخدمتك .

الشيخ رجاء . هذا أقل واجب يؤديه خادم لسيده . وهل أنا فعلت شيئا أستحق عليه شكركم السامى . الحى حيكم والأرض بمعادنها وممتلكاتها جزء من ممتلكات بلادكم وأنا وأهالى الحى ملك يمينكم .

الملك أصفهان يكلف الشيخ رجاء بالعودة إلى بيته للنوم واستكمال راحته نظراً للمتاعب التى لقيها بالليل مع البنائين .

الشيخ رجاء . يامولاى أعزك الله وأعاد لك ملكك . هل هناك راحة أو لذة أحسن من شرف الجلوس بين أيديكم ثم يرفع يديه مبتهلا إلى ربه ويقول يارب ماهذا السعد وما هذا الإكرام ؟ ويسجد لربه شكراً على ما من عليه من شرف عظيم ، شرف مشاهدته لملك البلاد .

خدم الملك يقدمون موائد الإفطار فيتناول الملك ورجاله وشيخ القبيلة طعام الفطور ثم يمكثون قليلا يتحدثون فيتقدم الشيخ رجاء بلطف ويرجو الملك التفضل بمشاهدة البناء والطواف بأنحاء الحي لمشاهدته .

الملك وصحبه يوافقون (الشيخ رجاء يهرول لإبلاغ الخبر ثم يعود مسرعا ويقول تفضلوا يامولانا ، تفضلوا) .

« إستقبال الملك أصفهان العادل عند البنائين وفى أنحاء الحى من الشبان والبنات والأطفال »

قصيدة اليزيد نجل شيخ القبيلة للملك أصفهان .

ياصاحب الجلالة

الشمس تشرق فى الصباح فتستحى ... أن تصعد السبع الطباق بدونك
فتظل تسرق فى السما خطواتها ... حتى تصير إلى كريم رحابك
إن البدور إذا رأتك تيقنت ... أن الإله اختصها لبهائك
وكذا النجوم إذا تناثر عقدها ... تخشى الظهور فلا تجىء لنورك
فإلى الإله توسلى وتبتلى ... يارب أبق لنا المليك بفضلك
وأدم عليه عزيمة وثابة ... محمودة ممدودة من جودك
وإلى المليك تحية أرجو بها ... حسن القبول عسى أفوز بحبك

ثم يتقدم بعد ذلك للثم يدى الملك فيقبله الملك فى جبينه.

ثم يقف غلمان الحى وبناته الصغار صفين متقابلين ويحيون مليكهم بالآتى

النور أشرق واستبان ... والحى أصبح فى أمان
وبذاتكم يبسم الزمان ... يامن شرحت صدورنا
أحييت مجداً للبلاد ... وأضعت أعمال الفساد
والحق دوما فى ازدياد ... وبه تقدم شعبنا
بالعدل عزت همتك ... بين القلوب إشارتك
نحن الجميع رعيتك ... فليبق عزك والهنا
يا أصفهان ويا همام ... جاهد ولا تخش اللئام
فاليك ينقاد الزمام ... حيث امتلكت قلوبنا

الملك أصفهان يأمر بتوزيع صندوق مال بأكمله على العمال وأهالى الحى فتزداد هتافاتهم وتهليلاتهم وتكبيرهم فيرد عليهم الملك شاكرا ويعود وأصحابه والشيخ رجاء إلى دارهم ويظلون على هذا الحال مدة طويلة من الزمن وكل يوم يمر وقلوب الحى تزداد تعلقا به حتى أدى بهم الولاء والإكرام إلى تكليف الشعراء والزجالين بتأليف الشعر والزجل يلقنونه لبناتهم وأطفالهم لإلقائه أمام قاعة الملك التى تعود الجلوس فيها ورفاقه كل يوم وبقى الملك أصفهان وصحبه المدة التى أراد الله لهم أن يقضوها فى ذلك الحى وكأنهم فى حلم لذيذ شائق .

« حالة الملك المزيف بعد توطيد ملكه »

استقرت الأمور فى نصابها للملك ميلود وسكت أغلبية الشعب مرغما على قبوله ملكا عليه بعد أن عانوا ماعانوا من عذاب أليم فى إسقاطه وبعد مارأوا من أهوال من قتل أبنائهم وبناتهم ونسائهم وأطفالهم والتزموا الصمت مرغمين وقلوب أغلبهم تلعنه ويدعون ربهم آناء الليل وأطراف النهار أن يزيل حكمه ويعيد إلى العرش صاحبه. فكر الملك ميلود بعد ذلك أن ينفرد بالحكم ولا يشرك معه أحدا أى لايعين وزيرا ولا يكون له مجلسا فربما المجلس أو الوزير يفعل به مافعله هو فرأى - وبئس مارأى - رأى أول مايفعل أن يكون خدم القصر من جنود الجيش وأن يجهز له حرسا بصفة مستمرة لمرافقته فى غدواته وروحاته وكذلك حرسا يرافقون القواد الأربعة وذلك لشعورهم التام وإحساسهم ببغض الشعب لهم وخوفهم على حياتهم . وهل للظالمين الخائنين إلا تعب فى الدنيا ووبال وخزى فى الآخرة ؟

ثم رأى بعد ذلك إحضار جميع من بقى من سلالة العائلة المالكة السابقة وأقارب وأصهار مجلس الملك وكل من ينتمى إليه رجالا ونساء وأطفالا لإعدامهم أمامه حتى يتم اطمئنانه ويكون فى أمان تام .

واكتفى بعد ذلك أن يكون القواد الأربعة فى صحبته أينما توجه وأينما حل ولا يتركونه إلا وقت ميعاد النوم . ثم أمر بتخصيص جواسيس للتجول فى جميع أنحاء المملكة للبحث عن الملك أصفهان ورجاله المرافقين فربما يكون مقيما داخل البلاد فى

بقعة نائية وذلك باعتبار كل جهة جاسوس واحد وأسند أمره لقس بن يعرب أحد قواده المرافقين بهذا كله لتنفيذه وكلفه أيضاً بتجهيز مائة من الجنود ليتجولوا بأنحاء المدينة لإحضار مابقى من أقارب وأصهار للملك أصفهان ورجاله إلا أنه عند عرض الجنود عليه رأى تقسيمهم إلى قسمين قسم بملابس الجند والآخر بالملابس العادية يكونون بمثابة جواسيس.وقد عرض عليه قس بن يعرب الرجال الذين سيقومون بمهمة البحث عن الملك ورفاقه فى أنحاء البلاد فوافق ميلود على ذلك وزودهم بنصائحه ووعدهم بإحسانه عليهم بعد عودتهم .

ذهب قس بن يعرب للبحث عن مفاتيح الخزائن فتبين أنها غير موجودة حيث أخذها أمين بيت المال للملك أصفهان معه أثناء هربه مع الملك فأمر ميلود بإحضار الصناع لفتحها ففتحت وتبين أن ربع عدد الخزائن خاوية من المال حيث حملت رجال الملك أصفهان الأموال على الجمال وقت هروبهم فتألم ميلود لهذا أشد الألم وقال لقس بن يعرب

إصرف من الأموال الموجودة بقدر حاجتهم وعليك تكليف الصناع بصنع مفاتيح جديدة ومسكها بمعرفتك أنت ولا تتصرف فى شىء ما إلا بأمرى هذا ونبه على الجواسيس أن ينزلوا أثناء بحثهم فى أنحاء البلاد سواء على أصحاب الدور أو القبائل كضيوف لايشعرون بهم أحداً لعله يتحقق لنا أمنية القبض على أصفهان ورجاله

قس بن يعرب : سمعا وطاعة يامولاى .

نفذ قس بن يعرب الأمر وذهب الرجال يطوفون بأنحاء المدينة والبلاد للبحث عن باقى أفراد العائلة المالكة وأقارب أصهار ومعارف رجال مجلس الملك وقائد عام الجيوش فاستحضروا الكثير من الرجال والنساء والشبان والأطفال وأمر ميلود باستحضار السياف لقطع رقابهم وصار السياف ينفذ الأمر ويقطع الرقاب إلى أن وصل إلى زوجة المرحوم يوسف بن شعيب قائد عام الجيوش واسمها سالمة بنت سعيد فنظر اليها ميلود فوجدها سيدة جميلة جمالا فاتنا وجهها مضيء كالبدر واقفة مستسلمة لأمر ربها بكل ثبات ويقين وإيمان .

فنظر ميلود اليها نظرة المتأمل فى هذه الخلقة الجميلة وقال أهذه زوجة يوسف بن شعيب

فقالت السيدة الجليلة نعم يامولاى أعزك الله وأدام ملكك السعيد إنى كنت أرجو الله لك خاصة أن يوليك ملك هذه البلاد لأنك أخلصت للشعب الذى يقدر الرجال والرجال قليل وخدمته(أى الشعب)قاصداً وجه الله سبحانه وتعالى وسوف يجزيك ربك بجليل أفعالك وعظيم أعمالك أحسن الجزاء ولكن يامولاى أعتقد أن الحق فى أوله مر ونهايته حلاوة ولذة وسيعود هذا الشعب فى يوم من الأيام وسيكون قريبا إن شاء الله ويقدر أفضالكم والتفانى فى الولاء لذاتكم الكريمة وإلى اللقاء يامولاى فى يوم لا ينفع فيه إلا من أتى الله وهو محسن . مر يامولاى السياف بقطع رقبتى تنفيذا لخطتك وحتى يلتزم الشعب حده وتهدأ حالته .

الملك ميلود . كيف توفى زوجة لأخلص مخلص للملك أصفهان وتتحدث بمثل هذا الحديث وترغمنى بحديثك أن نعتبرك من أتباعنا .

السيدة سالمة : أنا لم أحدثك يامولاى بحديثى هذا لغرض من الأغراض أو لأمنية من الأمانى وهى عفوكم عنى من الإعدام . فقد ختمت كلامى بطلب إعدامى كى لا يكون هناك انتقاد عليك ووصفك بالمحاباة أو عدم المساواة ولكنه هو القلب الذى أحبك الله من وقت سماع حديثك من أول يوم شرفت فيه دارنا مع زوجى منذ عامين وكنت أرجو الله أن يهيئ لى الظرف السعيد بملاقاتكم لأظهر لكم خالص حبى الشريف وعظيم إخلاصى لذاتكم ثم سكتت قليلا وقالت وأى ظرف أحسن وأمتع من هذا الظرف الذى سمح لى أن أحقق أمنيتى ثم أعدم قتلا تحقيقا لخطة تصون عرش من أحبه القلب واجتباه .

الملك ميلود . يلتفت إلى رفاقه ويقول لهم مارأيكم ؟

قس بن يعرب . أرى أنها صادقة فيما تقول .

سالم بن الياس . وأنا كذلك يامولاى أعظم صوتى لأعلى قس .

خالد بن خلف : مثل هذه البريئة يامولاى أرى والرأى الأعلى لجلالتكم العفو عنها

عمر بن سويلم . لا مانع من العفو عنها يامولاى حيث إن عينيها يشع منهما الوفاء

الملك ميلود عفونا عنها واحجزوها فى مكان أمين لوقت طلبها .

« السيدة ســـالمة بنت ســـعد »

هى السيدة الجليلة صاحبة العصمة والشرف والمجد التليد والأصل العريق .

هى السيدة المهذبة الكريمة الناشئة من أصل شراحيل بن ذى جدن يتلاقى نسبها مع نسب الملك أصفهان العادل إلى السرح بن الحارث بن قيس بن صفح بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان وكان أبا بلقيس ويسمى السرح ويلقب بالهدهاذ كان ملكا عظيم الشأن ملك أرض اليمن كلها . وقد سبق أن أبنا هذه السلالة الشريفة عند ذكر آباء وأجداد الملك أصفهان العادل ويتضح الآن أن هذه السيدة الفاضلة تتحد مع أصل الملك أصفهان فى الجدود وهى السيدة البارة حقا لزوجها يوسف بن شعيب أنار الله مناره وأعلى فى فردوس الخالدين مكانه .

وهى السيدة الوفية حقا للملك أصفهان العادل والتى رجت من ربها أن ينقذها من ظلم ميلود لتكون سببا فى إعادة عرش أصفهان العادل وسوف يكون .

دخلت هذه السيدة النبيلة بحيلتها هذه على ميلود الخائن ليعفو عنها وقد حقق الله لها الرجاء وذا جزاء الأوفياء. حجزت السيدة الجليلة إلى أن طلبها الملك وأراد أن يتحدث معها بعد أن تم إعدام من أحضروا فطلبها فأتت متسترة ومتحجبة .

فقال لها ميلود هل لك أن تبرهنى لى وقد تم العفو عنك إن كنت وفية لنا حقا وخلصة ؟

السيدة سالمة : ليس هذا مكان الحديث يامولاى فنحن فى ديوان ملكك وإنما أنا لى معك حديث الليلة فى بيتى إن شاء الله .

ميلود : هل تظنين أنك تبارحين هذا القصر إلى بيتك ؟

أرى من الأوفق أن يخصص لك جناح تقيمين فيه بصفة دائمة .

السيدة سالمة : يامولاى أعزك الله وأدام ملكك . أنت خير من يقدر القبائل العظيمة ويعلم حقيقة قدرها فجلالتكم تعرفون نسبى وأصلى الذى ينتهى إلى ملك عظيم الشأن تملك أرض اليمن كلها فهل يليق أن يذاع أنك عفوت عنى وأبقيتنى فى بيتك وما المانع لدى مولاى الملك أن أقيم فى بيتى بين أمى وأخواتى الصغار وجلالتكم تترددون للزيارة بين الآونة والأخرى وتشملوننا بعطفكم وهذا شأن الكرام أمثالكم .

ميلود : لا مانع. ثم يأمر الحرس بمرافقتها حتى قصرها.

الأم تستقبلها وأخواتها يحتاطون حولها ثم تختلى بأمها وتطلعها على ما دار بينها وبين الملك وتخبرها بعد ذلك بالحيلة التى تنوى عملها مع ميلود من حيث لا يشعر حتى يعود الملك أصفهان إلى عرشه .

الأم توافق وتطلب من الله تحقيق الآمال .

الملك ميلود يتوجه إلى قصر السيدة سالمة والحرس العديدون من حوله حتى القصر وينتظرونه حوله .

السيدة سالمة تقف فى انتظاره على سلالم القصر وتصحبه إلى حيث قاعة الاستقبال ويجلسان ثم تحضر الأم والأخوات الصغار لتحيته . ثم تنصرف الأخـــوات وتبقى الأم قليلا تشكر له حسن شعوره وجميل عطفه وتدعوا الله له أن يديم ملكه وتنصرف . يبقى الملك ميلود مع السيدة سالمة الفتاة النبيلة فتجاذبه أطراف الحديث اللذيذ بعد أن تقدم له من ألذ أنواع المشروبات الشيء الكثير .

إلى هنا يمكننا أن نقول إن ميلود لولا أنه افتتن بهذه الفتاة لما عفا عنها ولولا أنه أعجب بحديثها الممتع ونبرات صوتها الجميل وأسلوبها الرقيق لما أعادها إلى مسكنها ، ولما ذهب إلى قصرها بمجرد إنتهاء أعماله من الديوان وقد كان خروجه إلى المدينة قليلا جدا فى تلك الآونة بسبب ما يعلمه من نوايا الشعب له . مكثت السيدة سالمة تتحدث مع ميلود وتغريه بجميع أنواع الإغراء وتشكر بين الآونة والأخرى الظروف السعيـــدة التى مكنتها من الجلوس مع شخصية كريمة نبيلة هى شخصية السيد الفاضل العظيم الذى بوأه الله عرش البلاد لأنه يستحق أن يتولى عرشها وأكرمه الله بجعله خليفته فى أرضه لأنه كريم ويستحق هذا الاكرام . ثم سكتت فترة وقالت فحمداً لله يامولاى لتحقيق هذه الأحلام وما كان يخطر ببالى تحقيقها ولو فى الأحـــلام . أما وقد تحققت يامولاى فأبسط حدود اللياقة تقضى ألا أنام الليلة وأظل ساجدة لربى حتى مشرق الشمس حمدا وشكرا

ميلود : هل يمكنك أن تسمحينى قسما برب زمزم والحطيم أنك ستظلين الليلة ساجدة إلى مشرق الشمس لتحقيق حلمك الذى كنت تنشدينه ؟

السيدة سالمة : ورب زمزم والحطيم سأقضى الليلة ساجدة لربى إلى مطلع الشمس

(ومقصد السيدة الحقيقى هو أنها ستقضى ليلتها ساجدة لربها حيث وفقها لنجاح حيلتها)

(أما اعتقاد الملك المزيف هو أنها ستقضى ليلتها ساجدة لوصولها إلى ذلك الشرف العظيم شرف الجلوس معه) استأذن ميلود وانصرف بعد أن قضى بقية النهار ووقتا طويلا من الليل مع السيدة سالمة . فخرج وهو هائم بحبها متيم بها ومصور أمام وجهه خيالها حتى دخل البيت وهو فى شدة الانشغال لأجلها .

فسأله زوجته عن هذا الفكر وذلك الانشغال فلم يجب بأكثر من أنه مشغول فى كيفية إرضاء الشعب عليه . وكان نظام هذا الملك المزيف بعد ذلك أنه لاينزل إلى ديوانه إلا بعد زيارته سالمة ولا يعود إلى بيته إلا بعد قضاء وقت طويل من الليل مع سالمة

ولكن قضاءه هذه الأوقات معها كان على أحسن مايكون من الشرف والكرامة حتى أنه أراد فى يوم أن يجلس بجوارها فأبت إلا بما أحله الله وهو الزواج وكان هذا مايتمناه الملك أن تنطق به غير أنها أمهلته لوقت قريب وأبانت له نظرية خاصة بعائلتها فاقتنع وهو على أحر من الجمر. ولكن السيدة الجليلة تتخلص منه بهذا حتى يأذن الله بالفرج هذا ونتكلم قليلا عن الجنود والجواسيس الذين خرجوا من المدينة للطواف بأنحاء البلاد للبحث عن الملك أصفهان ورجاله فقد عاد الرجال من رحلاتهم بعد تجوالهم ولم يعلموا عن الملك ورجاله خبرا بل ولم يهتدوا إلى ملجأ يخبرهم بمكانه حتى أن الجاسوس الذى كان من نصيبه الحى المقيم به الملك ورجاله لم يتوصل لأى شىء بتاتا إذ أنه أقام بذلك الحى الأمين الوفى ثلاثة أيام والملك ورجاله وعائلاتهم فى المغارة داخل الجبل ولم يستطع أن يحصل على حرف واحد من رجال الحى أو بناته أو أطفاله السعيدين فانقطع أمله وودع من شيخ القبيلة بكل إجلال بعد أن استدرجه الشيخ رجاء بن سويلم وعلم منه من أخبار المدينة الشىء الكثير وكان يبلغ به الملك أصفهان ورجاله فى المغارة أولا بأول .

« مجنون سالمة »

ونرجع بحديثنا إلى حالة ميلود الخائن مع السيدة سالمة بنت سعد فقد مرت الأيام والأسابيع والشهور والملك ميلود المزيف مع تلك السيدة على الحال السابق إيضاحها حتى أصبح ميلود كأنه يلقب بمجنون سالمة من شدة حبه إياها وقد أدى به الحال من تصنعها منتهى الوفاء والمحبة أنه أخضع لها الجناحين وصار ينفذ لها جميع أوامرها ورغباتها .

كما ومرت الأيام والأسابيع والشهور والملك أصفهان العادل ورجاله وشيخ القبيلة فى رغد من العيش وهناءة بال إلا أن سنة الله التى لن تجد لها تبديلا أوجدت الملك

أصفهان فى يوم من الأيام على غير عادته فوجد الملك فى ذلك اليوم سابحا فى فكر عميق فتقدم إليه الشيخ رجاء بن سويلم فى ذلة وانكسار وقد اغرورقت عيناه بالدموع وقال له أتأذن لى يامولاى بالتكلم فأذن له الملك أصفهان فقال :

يامولاى : إن هذا اليوم شديد على جدا فورب زمزم والحطيم لو مات عندى أعز عزيز من أبنائى ماتألمت عليه كما أنا متألم الساعة فصارحنى يامولاى أعاد الله لك ملكك وأعزك لم هذا الفكر وعلام هذا الحزن ؟

الملك أصفهان الخبر ياشيخ رجاء أننى فى فكر عميق من ناحيـــة الملك الذى اغتصب منا وقد مضى على ذلك عشرة شهور ولم نعلم عن حالة المدينة أو البلاد شيئا كما لم نعلم عن حالة أفراد عائلاتنا أو عائلات رجالنا أية معلومات . فهل نترك هذا الحزن على هذه الحال ونتنامى ملك آبائنا وأجدادنا أم الأوفق أن نبتدئ فى رسم الخطط لاسترداد ملكنا هذا من جهة ومن جهة أخرى أفكر فى حالة زوجة يوسف بن شعيب قائد عام جيوشنا (رحمة الله عليه) وأمها وأخواتها الذين كان يعولهم . ترى ماذا تم فى أمرهم وإذا كانوا لايزالون على قيد الحياة هل من الممكن أن نتمكن من استدعائهم لدينا هنا للاقامة معنا ؟ وكيف ذلك ؟

هذا ياشيخ رجاء كل تفكيرى ولولا أنك عزيز عندى جدا ماصارحتك ورب زمزم والحطيم بكل هذه الصراحة .

الشيخ رجاء بن سويلم . كل ذلك يامولاى أمر ممكن معالجته . فأما أمر العودة إلى الملك فصبر جميل وسيؤتى إليك قريبا بفضل الإله الملك الجليل . فأرجو أن تأذنوا لى جلالتكم بالتوجه إلى المدينة لجس نبض الشعب وروحه الآن من ناحية ميلود وناحية جلالتكم ثم التوجه بعد ذلك إلى ثكنات الجيش لزيارة أحد أقاربى العاملين به للتجسس أيضاً . ثم أسأل بعد ذلك عن حالة أفراد عائلتكم الكريمة وبقية أقارب رجالكم وصحبكم وأبحث أيضا موضوع زوجة المرحوم قائد عام جيوشكم بعد سؤالى عن مكان قصرها ومقابلتها وأبين لها رغبة جلالتكم بعد تحليل نفسها تماما من ناحيتكم وكل ذلك يكون فى غاية التكتم الشديد وحسن التصريف وسأعود بإذن الله لمولاى بجميع البيانات اللازمة ثم نبدأ فى تدبير الخطة المحكمة لعودتكم بقوة ملك الملوك إلى عرشكم .

الملك أصفهان . مارأى وزيرنا وردان وبقية الرفاق ؟

الوزير والرفاق : موافقون يامولانا .

الملك أصفهان يتقدم إلى شيخ القبيلة ويقبله تقبيـــلا حارا ثم يقول له يالك من رجل وفى مخلص وفقنى الله لخدمتك يارجاء .

الملك أصفهان : كم من الوقت تستغرق ياشيخ رجاء ؟

الشيخ رجاء : شهرين يامولاى .

الملك أصفهان يأمر أمين بيت المال بصرف مايكفيه من أموال لمسافة أربعة شهور لاشهرين وذلك على سبيل الاحتياط .

الشيخ رجاء : يطلب من الملك أن يأذن له بالرحيل فيجيبه الملك لطلبه بعد أن يعانقه ويودعه وكذلك بقية المجلس فيخرج شيخ القبيلة للاستعداد للرحيل بعد تسلم المال اللازم وبعد أن مر ببيته وجميع الحى ينبه عليهم مشددا بتكتم خبر رحيله .

« حالة أهالى البلاد فى هذه الآونة والجيش »

أما حالة البلاد جميعها والجيش فنستطيع أن نتحدث عنها ولا حرج . فقد سبق أن ذكرنا أن الملك أصفهان استولى على مايقرب من الربع من الأموال المكدسة بالخزائن هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ابتكر الملك المزيف أن يخصص له يوميا مجلس أنس يخفف من أفكاره شيئا ومجلس الأنس هذا يتكون من راقصات ومغنيات ومسامرات ويظل الملك المزيف يتمتع بهذا كله إلى وقت معلوم من الليل يذهب بعده إلى حبيبة قلبه السيدة سالمة وبديهى أن أمرا كهذا يكلفه من الأموال الطائلة يوميا الشىء الكثير فهذه حالة وحالة أخرى هى حالة الجند فقد مرت المدة الأولى على الجنود وحضروا كعادتهم لاستلام أجورهم فلم تسلم إليهم سوى نصف الأجور بحجة أن الأموال الموجودة غير كافية لتسليمهم الأجور كاملة فتوجهوا بجموعهم الحاشدة إلى مقر حكم ملكهم الذى اغتصبوا الملك من أجله فيقابلهم بكلامه المعسول ولؤمه وخداعه ويبسط لهم الحاله بأن الخزائن فى حاجة إلى المساعدة حيث أن الملك السابق أخذ منها أموالا كثيرة وقت هروبه ويمهلهم بالصبر قليلا لحين ورود أموال من جمع ضرائب او خلافه فينصرفون وقد تكررت هذه الحالة ثلاث مرات حتى ذهب الجند فى المرة الأخيرة بتحمس شديد وقد ملأ الكدر نفوسهم فيهيد عليهم ميلود

الكرة ويعاهدهم على أن تكون هذه المرة الأخيرة فينصرفون وهم فى شدة الألم وقد لمس الملك المزيف منهم هذه الحالة فخشى النتيجة فاستشار رفاقه الأربعة فى الأمر فأجمعوا الرأى على إبلاغ الشعب بحالة بيت المال السيئة بسبب ما استولى عليه الملك أصفهان وقت رحيله من البلاد وأنه لذلك قد سن قانون برفع الضريبة المطلوبة سنويا من كل فرد إلى ضعف ما هى عليه وعلى كل فرد توريد الباقى المطلوب فى أقرب وقت لبيت المال.

لم يقم بالتوريد المطلوب سوى نفر قليل الأمر الذى اضطر الملك المزيف إلى إصدار أوامره بجباية الأموال المطلوبة بالقوة والفظاعة أى بالضرب بالعصى الغليظة والأسواط وانتهت جباية الأموال بعد حدوث معارك دامية بين الجند والرعية.

هل مع هذا كفت الأموال رجال الجيش وقواده أجورهم؟ كلا. لم تكفهم سوى ثلاث مدد وعادت حالتهم سيرتها الأولى.

فالجند أصبحت متذمرة من خفض أجورها والملك المزيف يبعثر الأموال شرقا وغربا على الراقصات والمغنيات والمسامرين والمسامرات والحفلات اليومية التى تنصب فيها موائد الأكل المختلفة الأنواع وتوزع فيها كؤوس الخمر من كافة الأصناف ويدعى إليها المناصرون للملك من أعيان الرعية.

والشعب أصبح يائسا من هذا الملك الظالم حتى بلغ اليأس به أشده.

وخزائن الأموال بين هذا وذاك فى انكماش وتضاؤل والله الفعال لما يشاء وهو على كل شىء قدير.

« فرج ربك قريب »

نعود إلى السيدة سالمة بنت سعد فقد اختلت بأمها وأبانت لها أن حالة تردد الملك على بيتها قد طالت وأن هذه الحالة أصبحت منتقدة من الشعب انتقادا ظاهرا وقد قطعت الأخبار عن الملك أصفهان من وقت رحيله وليس حيلتها سوى إيفاد عشرين من خدمها فى أنحاء البلاد للبحث عنه لا بلاغه ما تنتوى عمله نحو قتل الملك المزيف كى يعود صاحب العرش إلى ملكه عقب تنفيذ مؤامرة القتل مباشرة وإلا فستضطر هى للاسراع بقتله فداء الواجب ولكن ما يكون بعد ذلك وهى لا تجد ما يعوق تنفيذ خطتها حيث أموال ميلود جميعها فى قبضة يدها. ولكن لأن الأم حنانها هو الحنان الطبيعى

الذى لا كلفة فيه أمهلت أمر القتل واستحسنت تجول الخدم فى أنحاء البلاد لاستراق أخبار الملك أصفهان . جمعت السيدة سالمة عشرين من الخدم ممن تثق فيهم وفى ذمتهم . وبهذه المناسبة نذكر أن ميلود كان مخصصا لها مائتين من الخدم فى قصرها مبالغة فى حبها

جمعت العشرين خادما وعاهدتهم بعهد الخليل ابراهيم عليه السلام أنهم لا يفشون سرها ثم أطلعتهم على حقيقة نواياها من جهة الملك ميلود وأفهمتهم برغبتها فوافقها الجميع على رأيها خصوصا وأنهم كانوا يتمنون زوال هذا الطاغية بأى شكل وزودتهم بالأموال والمؤن الكافية وتوجه كل منهم إلى الجهة أو البلدة المخصصة له .

« حسن الصدف »

كان من نصيب الخادم عواد بن صويلح أن يلتقى مع شيخ قبيلة بنى الحارث فى الطريق فيدور بينهما الحديث الآتى : —

الشيخ رجاء : أمان الله عليك يارجل .

عواد بن صويلح : وعليك أمان الله ياسيدى .

الشيخ رجاء : أين المقصد ؟

عواد بن صويلح : قبيلة بنى الحارث

الشيخ رجاء . لم ولماذا ولأى سبب ؟

عواد بن صويلح . للزيارة ياسيدى .

الشيخ رجاء . أتعرف أحداً من رجال هذه القبيلة ؟

عواد بن صويلح . يسكت ولم يجب .

الشيخ رجاء . أجبنى أيها الأخ أنا شيخ القبيلة وأستطيع أن أمهد لك سبيل الراحة هناك إن كنت لا تعرف أحدا بأن أعطيك رسالة تحملها لأحد أبنائى ليقوم باكرامك

عواد بن صويلح . يسكت ولم يجب .

الشيخ رجاء . علام السكتة ياأخا العرب .

عواد بن صويلح . هل إذا وضعت يدى فى يدك وأقسمت عليك برب زمزم والحطيم ثم عاهدتك بعهد الخليل ابراهيم تجيبنى بصراحة عن سؤالى الذى أرغب سؤاله لك .

الشيخ رجاء : لك ذلك ياأخا العرب .

عواد بن صويلح : أى الملكين تفضل أصفهان العادل أو ميلود ؟

الشيخ رجاء : ملك البلاد الشرعى .

عواد بن صويلح : أى أصفهان العادل

الشيخ رجاء : نعم .

عواد بن صويلح يعانقه ويخبره بصراحة الأمر الذى قام بصدده .

الشيخ رجاء يتحفظ ويكتم الخبر حتى يطمئن بنفسه ويطلب من عواد بن صويلح أن يرجع معه إلى حيث قصر السيدة سالمة ليسمع بنفسه كلامها وبعد ذلك يرشده إلى المكان الذى سمع أن الملك أصفهان مقيم فيه .

« شيخ قبيلة بنى الحارث وعواد بن صويلح يصلان إلى قصر السيدة سالمة بنت سعد »

وصل الرجلان إلى قصر للسيدة سالمة بنت سعد ليلا وكان الحرس قد أحاط بالقصر لوجود الملك ميلود به فدخل الخادم وهو معروف لدى الحرس والشيخ رجاء بصحبته بحجة أنه قريبه وأجلس الخادم الشيخ فى مكان بعيد لحين خروج الملك.

جلس الشيخ وفرائصه ترتعد وظن أنه مقتول أومعدم لامحالة فى تلك الليلة وظل بين اليأس والرجاء إلى أن انصرف الملك وحرسه فهرول الخادم إلى سيدته ليطلعها الخبر

السيدة سالمة تجرى مسرعة نحو شيخ القبيلة وتقابله محيية وتصحبه إلى حجرة استقبالها وتنادى أمها .

تحضر الأم وتسلم على الشيخ وتبدأ وابنتها الحديث معه بالسؤال عن الملك أصفهان

الشيخ رجاء : أنا لايمكن أن أسمعكما منى كلمة واحدة إلا بعد أن تقسما لى بالله رب زمزم والحطيم وتعاهدانى بعهد الخليل ابراهيم بأنكما لاتفشيان سر ماأقول وعلى شريطة أن تفهمانى بما جرى لكما من وقت رحيل الملك أصفهان إلى اللحظة التى وطأت قدمى قصركم وذلك بالنسبة لما رأيت الليلة من وجود الملك ميلود هنا وحرسه بباب القصر

الأم وابنتها يقسمان ويعاهدان ثم تبدأ السيدة سالمة بذكر الحوادث التى حاقت

بالبلاد من وقت رحيل الملك أصفهان إلى اللحظة التى دخل فيها الشيخ رجاء قصره ثم تبين السيدة للشيخ أن هذه حالات مصطنعة جميعها للتمكن من الوصول إلى بغيتها وحلمها المنشود وهو عودة الملك أصفهان إلى عرشه ثم تلفت نظر الشيخ إلى أنها لو كانت غير صادقة فى كلامها لظهر نتيجة ذلك عند بدء دخول الشيخ رجاء القصر مع الخادم وما كان منظورا حدوثه من سجن أو إعدام لو كانت النية سيئة .

الشيخ رجاء : يطمئن تماما ويبدأ حديثه بأنه رسول الملك أصفهان اليها وقد حضر لكذا وكذا وساعدته الظروف للالتقاء بخادمها .

السيدة سالمة وأمها تفرحان فرحا شديداً وتسجدان لله شكراً فى حجرة العـــلاة الخاصة وتعودان وتبينان أنه كان فى عزمهما تنفيذ الحيلة لقتل ميلود الخائن لولا أنهما أمهلتا الأمر لحين عودة الخدم من الجهات التى ذهبوا اليها للاستقصاء عن الملك أصفهان حتى إذا ماتضح وجوده فى أى ناحية يطلعونه على الأمر ليحضر عقب قتل الملك المزيف مباشرة إلى ملكه .

الشيخ رجاء : يسأل السيدة سالمة عن حالة البلاد وروح الجند فتطلعه بصراحة على الخبر .

السيدة سالمة تلمس لفرط ذكائها من وجه الشيخ رجاء رغبته فى عدم وجود أمها للتحدث معها بحديث سرى فترجو والدتها التوجه لقاعتها وتفهمه أنها لمست منه هذا فعملت على إراحته .

الشيخ رجاء : ياسيدتى الآن وقد رأيت منك حمدا عظيما وحبا كاملا للملك أصفهان وقد صارحت شخصى بكل مافى قلبك وقد بادلتك صراحة بصراحة وأخبرتك بالسبب الذى حضرت من أجله فهل يمكنك بما رأيته منك من ولاء ووفاء أن ترسمى لى الخطة التى تمكن الملك أصفهان من العودة إلى عرشه ؟

السيدة سالمة : الجيش بأجمعه متذمر جدا من ميلود بسبب ظلمه لهم وتخفيضـــه لأجورهم وعدم بره بوعده معهم ماعدا القواد فهم له مخلصون للغاية . فمن الميسور جدا أن أكلف ميلود بعمل حفلة سمر وذلك تشجيعا للقواد للتفانى فى حبه وازدياد الولاء له وأفهمه أن برضاء القواد يرضى الجيش المتذمر ولو ترك دون أجر . لأن القواد فى

أيديهم الجيش يحركونه كيف يشاءون وفى الوقت الذى يترك القوات فيه ثكنات الجيش أتوجه أنا شخصيا وأنت بصحبتى وأبين للجيش أنه من النذالة والتنطع السكوت على هذه الحالة . حالة الظلم من الملك المزيف للجيش وللبلاد جميعها حتى عم القحط جميع البلاد بسبب اغتصابه أموالهم ومحصولاتهم وصرفها وتوزيعها على شهواته وملذاته وقواد جيشه ثم أقول للجيش النص الآتى : أشهدكم وهو يطمع فى زراجى ويعتقد أننى خليلته أنى بريئة منه ومن فعاله وقد استدرجتـــه هذه المدة الطويلة حتى تهيأت لى الظروف فرأيت المسارعة إليكم لأبلغكم أن الواجب الوطنى يدعوكم إلى إرجاع قائدكم الأعلى ملك البلاد الشرعى العادل الذى لم تروا منه يوما واحدا كهذه الأيام .

الشيخ رجاء : حسن جداً هذا ياسيدتى ولكن متى تنفيذه ؟

السيدة سالمة : باكر أتفق مع ميلود على هذا وبعد باكر يكون موعد الحفلة وسيكون النظام (وأنا واثقة فى الجيش) كالآتى

أن يتوجه ثلث الجيش معك إلى قبيلة بنى الحارث لإحضار الملك أصفهان العادل إلى عرشه والثلث يذهب إلى القصر لقتل الجنود والخدم وتجهيزه لملكه والثلث الأخير يحضر هنا أثناء الحفلة فيهدمها ويقبض على الملك ورفاقه وقواده إلى أن يحضر الملك أصفهان العادل إلى ملكه وأنت هنا ياشيخ القبيلة ضيفى إلى وقت تنفيذ الخطة .

الشيخ رجاء بن سويلم . أنا نيابة عن الملك عاجز عن شكرك ويالك من سيدة فاضلة أصيلة نبيلة وحقا إنك ابنة الأكرمين والملوك السابقين . ثم يسكت لحظة ويقول حمداً لله اللهم حقق رجاءنا وبلغنا آمالنا يامن جعلت النار المتأججة المحرقة برداوسلاما على نبيك ورسولك الخليل ابراهيم عليه الصلاة وأتم التسليمات

السيدة سالمة تأمر الخادم عواد بن صويلح أن يذهب بالشيخ رجاء ليتناولا العشاء وينام سويا كى لايكشف الأمر .

الشيخ رجاء والخادم الأمين يذهبان للعشاء والنوم والسيدة الجليلة سالمة تذهب إلى حيث فراشها بعـــد إطلاع والدتها على ماانتوت عمله فتوافقها الوالدة وتدعو الله تسهيل الأمور .

تشرق الشمس بعد ذلك على حى بنى الحارث فيستقبلها الشبان والبنات والصبية والأطفال بالنشيد الملكى السعيد حول بيت الملك ورجاله فيستيقظون من نومهم فرحين

مستبشرين فيذهب الملك إلى مجلسه ويوافيه رجاله ويحيونهم بالنشيد منتظرين وهم لايعلمون بقرب عودتهم إلى مقر سعادتهم .

ثم ينير الصبح بضيائه الجميل على السيدة المهذبة البارة وشيخ قبيلة بنى الحارث الأمين اللذين باتا ينظمان الخطط لإزالة عهد الظلم واستقبال عهد العدل لينعم به الشعب الذى قاسى من مرارة العيش الشىء الكثير .

ثم يطلع النهار على الملك المزيف الذى غره بالله الغرور وهو لايدرى بدنو أيامه وشربه كأس العذاب المريرة . نعم تشرق الشمس على حى بنى الحارث بالرضوان والأنوار فيتحدث الملك ومجلسه عن حالة شيخ قبيلة بنى الحارث ويرجو الله له السلامة والتوفيق

وتسطع بأنوارها المضيئة على السيدة الكريمة سالمة بنت سعد والشيخ رجاء بن سويلم فيقومان من نومهما ولا هم لهما سوى الدعاء الحار إلى الله بنصر المؤمنين .

وتسارع بعد ذلك سالمة باستدعاء الملك الحنون بحجة أنها متعبة ومريضة .

فيسارع ميلود بالحضور للاطمئنان على خليلته وزوجته المقبلة فتستقبله بالترحاب المزيف وتشكره على عطفه وتخبره بوجوب عمل حفلة سمر لقواد الجيش ترفيها لهم حيث ترامى إلى أسماعها أن بعض القواد يقول نحن محرومون من السمر والترف . الملك كل يوم يدعو كثيراً من أعيان المدينة وينسى قواده المخلصين .

يجيبها ميلود إلى طلبها ويشكرها على خالص ولائها فتمنيه هى بزواجها إياه بعد هذه الحفلة بأيام قليلة وأنها أخذت الموافقة من جميع أفراد عائلتها . يخرج الملك المزيف مسروراً بهذا النبأ السار ويأمر بتنظيم حفلة كبيرة شائقة للقواد فى اليوم التالى ويأمر قس بن يعرب بالتوجه إلى مكان القيادة لأبلاغ الخبر إلى القائد العام وجميع القواد ويعلمهم أن الملك سيشرفهم الى نهاية الحفلة .

ينتهى اليوم ويأتى المساء ويتلاقى الملك مع محبوبة قلبه ويبلغها اجابة طلبها ويمكث معها الى وقت متأخر من الليل ليعوض فيه الليلة القادمة حيث سيحرم من الجلوس معها وان كانت الحفلة ستقام أمام قصرها ثم ينصرف الى بيته فتودعه السيدة بكل اشتياق زيادة فى اطمئنانه .

ويأتى اليوم التالى وينتهى وتغرب الشمس والقواد جميعهم قد ذهبوا الى بيوتهم استعدادا للحفلة .

فتنسحب السيدة سالمة والشيخ رجاء فى تكتم شديد قبل حضور الملك وحرسه وبدء الحفلة من باب خاص من إحدى أبواب قصرها ولا يعلم بخروجهما أحد ويتوجهان الى مكان الجيش فترتجل تلك السيدة الوفية خطابا حماسيا أبكى الجيش بأجمعه بعد أن بينت للجنود جميعهم الفرق الشاسع بين الملكين حتى أن الجنود رجوا منها كثيرا الاكتفاء بما سمعوه وأنهم أصبحوا على استعداد تام لتنفيذ الأمر سريعا. فتوبتهم الى الله أن يندموا على مافعلوا فى حق الملك أصفهان العادل وان يكفروا عما ارتكبوا فى حقه من خيانة تشيامع ذلك الجرم الأثيم وان يعاهدوا الله على الايعودوا لمثل ما فعلوا .

فقالوا لها لك ذلك ياسيدة وسنقدم لجلالة أصفهان العادل فروض الطاعة والخضوع بتقبيل أقدامه ولكن من يضمن لنا صفح المليك ورضوانه التام علينا بعد ذلك الجرم الذى ارتكبناه فى حقه انقياداً لذلك السافل الأثيم .

فأجابتهم السيدة بأنها هى الضامنة لذلك والمسئولة أمامهم عن هذا لأنها ستبين له تفصيلات الأمور .

فوافق الجنود على ذلك وتابوا وأنابوا وعاهدوا ربهم عهدا وثيقا فانصرفت السيدة شاكرة لهم تقديرهم بعد أن نظمتهم وقسمتهم إلى ثلاثة أقسام .

فانصرف سراً القسم الأول مع الشيخ رجاء بن سويلم كما أفهمتهم السيدة سالمة لإحضار الملك العادل إلى عرشه .

والقسمان الآخران ينتظران لبدء المعركة .

« خليفة الله يعود إلى عرشه — وخائن الخليفة يعدم وصحبه »

وعادت بعد ذلك السيدة سالمة إلى منزلها توا ولم يشعر بها أحد ودخلت على أمها تبشرها بنجاح المهمة .

إبتدأت حفلة السمر وكانت حقا حفلة الغم والكدر وجاءت الساعة المعهودة وإذا بالجيش ينقض عليهم كالوحوش الضارية يقتل ويذبح فى جميع الحاضرين ماعدا الملك المزيف ورفاقه وقواده المجرمين فقد أمسكوهم وقالوا لهم لقد أذقتمونا العذاب الأليم

فستجزون جزاءكم بعد تشريف الملك العادل أرض الوطن التي أبعدتموه عنها بظلمكم يا آثمين .

وهكذا انقض فريق الجيش الآخر على القصر يذبح فى خدمه ويقتل فى جنده وفى عائلة الملك المزيف حتى أفنوهم عن آخرهم .

وخرجت المدينة على بكرة أبيها بعد أن ذاع الخبر بينها خرجت ضاحكة مستبشرة بنصر الله وساخرة هازئة بالملك المزيف الذى حكمها قرابة العام ظلما وعدوانا وكان هتافها شكر الله القدير نصير المؤمنين وهادم القوم الظالمين وينادون قائلين « عفوك ياأصفهان . رضاك ياأصفهان . مظلومين ياأصفهان . سامحنا ياأصفهان وظلوا كذلك حتى طال الانتظار فتجسس الكثير منهم عن مكان الملك أصفهان فأعلمتهم السيدة سالمة عن مكانه وكلفتهم باخبار اخوانهم ليتوجهوا لاستقباله .

فسرى الخبر بين الجميع فجرى آلاف مؤلفة عديدة إلى حيث الجبـــال والوهاد لاستقبال ملك البلاد الشرعى وقضوا الأيام والليالى فى طريقهم حتى حى بنى الحارث الذى سبقهم اليه الجيش والتقى الجمعان مع ساكنى الحى والنداءات هنا على اختلاف أنواعها يعجز القلم عن وصفها . برح أصفهان العادل حى بنى الحارث ولا أحدثك عن اغتباط الحى وخروجه بأجمعه مع الملك حتى مدينته ومقر ملكه والهتافات المتواصلات فى الطريق من مبدأ الحى حتى أبواب المدينة والشعب يحمـل الملك ووزيره وردان ابن صعيب وبقية رجاله على الأعناق بين الآونة والأخرى زيادة فى الوفاء .

وما أن بلغ الخبر الأهالى بوجود الملك بأبواب المدينة حتى هرعوا جميعاً لاستقباله ولم يبق عند قصر السيدة سالمة أو قصره سوى الجنـــود فقـط ، وأتوا به إلى قصر السيدة سالمة وقد سبق أن أبلغه بخلاصة قصتها شيخ قبيلة بنى الحارث ولم يتمم تفصيلات الموضوع بسبب ازدحام الجيش والأهالى ليل نهار .

وصل الملك إلى قصر السيدة سالمة بنت سعد زوجة القائد العام الوفى الأمين الذى مات شهيداً فى سبيل الواجب وكانت فى استقباله على باب القصر فصافحها وقبلها فى جبينها وكان منظرا مؤثرا أمام الشعب والجنود حيث تعالت الهتافات بحيـــاتها وقتا طويلا وهى سليلة المجد والشرف .

ثم صعد إلى الطابق العلوى بعد مسافة طويلة من الزمن بسبب شدة الزحام الذى قرر الملك أصفهان ورجاله أنهم لم يروا مثيله طول حياتهم ثم جلس ورفاقه وشيخ قبيلة بنى الحارث وأولاد شيخ القبيلة فى حجرة وسيعة خاصة لسماع قصة السيدة سالمة والشيخ رجاء وبعد أن علم بجميع التفصيلات من الطرفين أصدر أمره بالآتى :

أولا — تعيين رجاء بن سويلم وزير ميمنة وعواد بن صويلح خادمه الخاص .

ثانيا — تعيين وردان بن صعيب وزير ميسرة .

ثالثا — السيدة سالمة بنت سعد زوجة لنا .

رابعا — رفع الجزية السنوية عن قبيلة بنى الحارث بأجمعها بصفة دائمة .

خامسا — تخصيص مبالغ دائمة للعائلات الفقيرة بقبيلة بنى الحارث .

سادسا — تعيين عمر واليزيد وخالد أولاد رجاء بن سويلم وزير الميمنة أعضاء بمجلسنا بدلا من خليل بن اسحق وعمر بن اليزيد اللذين استشهدا فى معركة الانقلاب مع تخصيص مبلغ دائم يحدده المجلس فيما بعد لأى فرد أو عائلة يتضح أنها من أقارب خليل بن اسحق أو عمر بن اليزيد أو خلافهما من رجالنا أو خدمنا الذين نجوا من مجزرة الانقلاب

سابعا — تعيين يحيى بن مدكور كبيراً لمجلسائنا .

ثامنا — الصفح العام عن الشعب البرىء والجنود ماعدا المنتمين لميلود الخائن حيث لاذنب لهم وقد غرهم الأثيم المجرم بافتراءاته وأكاذيبه .

تاسعا — صرف أجور الجنود كاملة فورا مع صرف الفروق المتبقية لهم فى المدد الفائتة التى ظلمهم فيها المجرم المذكور

عاشرا — اقامة حفلات النصر وولائم الأكل فى جميع أنحاء المملكة لمدة تسعين يوما لاطعام الفقراء وغيرهم .

حادى عشر — اعدام ميلود الخائن ورفاقه وقواد الجيش جميعهم وكل من ينتمى اليه من أقارب أو أصهار أو معارف بعد تعذيبهم على أبواب قصرنا لمدة ثلاثة أشهر بتعليقهم من أقدامهم حتى يرد جميع أهالى المملكة للاطلاع عليهم وفضيحتهم .

ثم قام الملك بعد ذلك يحف به وزراءه ورجاله لاستجابة نداءات الشعب وشكره وقد ارتجل الملك أصفهان العادل خطابا رائعا أبكى الشعب والجنود جميعهم ومكث فيه

ست ساعات حتى أن كثيرا من الأفراد والجنود نادوا وقالوا تبنا يامولانا ، الصفح من شيم الكرام ، خدعنا الخائن ، افترى علينا المجرم ، مظلومون يامولانا وهكذا ظل الملك حتى شهر وتأكد أنه ملك قلوبهم بأيديه واحتلها احتـــلالا إلى الأبد فأدخل عليهم بعد ذلك الغبطة والسرور والانشراح وكلف الجمع والجنود بالسجود للرب المعبود شكرا على عظيم نعمائه وكريم آلائه ووعدهم بالعمل على مافيه إسعادهم جميعا وهناؤهم وأمرهم بالانصراف للراحة فانصرفوا وهم يشكرون الله شكرا جزيلا ويكبرونه سبحانه وتعالى ويحمدونه كثيرا .

ورجعت حالات البلاد والمدينة بعد ذلك إلى سرورها وسعدها وعزها الماضى الذى ما كانت تعلم به أن يعود وبقيت على ذلك تسعين يوما شاهدت البلاد بأسرها خلالها تعذيب ميلود الخائن وكل فرد يمر عليه وعلى رفاقه يلعنهم أجمعين إلى أن حان وقت إعدامهم فأعدموا وماتوا أشنع موتة وذا جزاء الخائنين . واستمر الملك أصفهان العادل. ووزيراه ورجاله وبلاده فى رضوان من الله إلى أن جاء الجميع هادم اللذات ومفرق الجماعات فماتوا وقابلوا ربهم وهو راض عنهم اجمعين ؟ المؤلف

١-٢-١٩٤٧ تمت حسين محمد عاشور

الختام للملك

من للعلوم معضـــدا يسرى بها نحو الأمام
لك فى الأنام مفاخر قد حزتها لا بالكلام
بل بالفعال الساميـــات سموت قدراً لايرام
دم للكنانة حافظا مجد البلاد على الدوام